الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعةأبي بكر بلقا يد- تلمسان-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص :دراسات مقارنة وحضارة

# القيم الأخلاقية وجمالياتها في الشعر الجاهلي
## معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجا

**إعداد الطالبين:**
مونسي مصطفى
عبيدالله محمد

**إشراف:**
د. مكي عبد الكريم

السنة الجامعية

1434-1435هـ/2013-2014م

جامعة بوبكر بلقايد * تلمسان*
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

سجل تحت رقم FAC.L.T
بتاريخ 2015
الرقم 02700

# بسم الله الرحمن الرحيم

# الشكر والعرفان

أتقدم بالشكر للذي أهدانا العقل وفضلنا على سائر المخلوقات ، الذي يستحق الشكر والثناء وحده الله سبحانه وتعالى .

إلى سيد الخاشعين والمتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ...إلى خير من تضرع إلى الله وناجاه في السر والعلن ... سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وكما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " .

وعليه أتقدم بالشكر الجزيل إلى الذين قادوا سفينة العلم والتعليم وأناروا طريق العلم أمامي وجعلوا من المعرفة دربا سهلا أرى من خلاله الأمل، أساتذة دون استثناء من الابتدائي إلى الجامعي .

ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري إلى أساتذتي الكرام الدين تلقيت على أيديهم واستفدت من إرشاداتهم، واخص بالذكر الدكتور مكي عبد الكريم الذي قام بالإشراف على هده الرسالة ، فلم يدخر وسعا في تقديم توجيهاته وإرشاداته لي ومديد العون والرعاية والتي كان لها جميل الأثر في ظهور هدا البحث إلى النور ، وأسأل الله أن يجزيه خير جزاء .

كما أشكر أيضا كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها .

وإلى جميع عمال مكتبة قسم الآداب ، كما لا أنس أخي وصديقي خلوفي فتحي على المساعدة التي قدمها لي .

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إعانتي وتحفيزي على إنجاز هدا العمل .

# إهداء

مملكة الحنان التي سهرت الليالي وتحملت المشاق وأمدتني بالقوة والحب والحنان والتي كانت تحفزني دائما إلى بدل المزيد والشمعة التي أنرت دربي إلى الأم الغالية أطال الله في عمرها .

رمز العطاء والكفاح وصاحب الأيادي البيضاء الأب الغالي أطال الله في عمره راجيا المولى أن يرزقه الشفاء .

إلى أختي الغالية مليكة .

من أحبني وزادني ثقة أخي بن يوسف .

إلى أختي زهرة و زوجها بوجمعة التي رافقتني طوال المشوار الدراسي .

إلى أختي صباح وزوجها البشير التي كانت سندا لي .

إلى أختي فتيحة وزوجها الطيب التي لم تبخل عليا بنصائحها .

إلى كل من يحمل لقب عبيد الله .

إلى البراعم التي تنير البيت: أسماء و فريال و روميسا وإيمان وبسمة و يوسف و فاروق .

أصدقائي الذين قاسموني الغرفة فتحي طبيب الغرفة و محمد ومصطفى و فاتح و خليل و عبد الوافي و عمر و عبد القادر وأحمد .

كل من جمعتني بهم الحياة الجامعية بحلوها ومرها من قريب أو بعيد بالأخص بغداد و عبد الكريم وعبد المالك . كما لا أنسى زواوي والطيب .

إلى هؤلاء ...أهدي هدا العمل المتواضع راجيا عز وجل أن ينفع به غيرنا ويجعله في ميزان حسناتي

**محمد**

**عبيد الله**

# إهداء

إلى الوالدين الكريمين رغم ثقل هموم الحياة لا يزال كل أملهما في الدنيا رؤية حصاد دينهم و دنياهم في أولادهم .

إلى إخوتي الكرام الذين كان لهم الفضل بما صبروا علي .

إلى زوجتي الكريمة التي كانت لي نعم السند والى ابنتي .

إلى كل من علمني خيرا أو دلني عليه .

إلى كل من أعانني من قريب أو بعيد ولم يتسع المقام لذكره بكلمة طيبة أ ونصيحة .

شكرا مدى الحياة

**مونسي مصطفى**

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين أطيب الحمد وأزكاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وحبيبه أزكى الصلاة وعلى اله وصحبه المهتدين بهداه.أما بعد:

فموضوع الشعر الجاهلي رحب ولا يكاد الباحث يتبين منه شيئا إلا ازداد اتساعا وتشهد بصحة ذلك المؤلفات التي حيكت على رحابه,لكنها لم تعدو الا نزرا قليلا من بحره.ولعلنا تخيرنا من هدا الفضاء الرحب موضوع الأخلاق في الشعر الجاهلي,والتي كانت مثارا للقراءات وشعلة للدراسات,وقد اخترنا للبحث عنوانا موسوما بـ:{**القيم الأخلاقية وجماليتها في الشعر الجاهلي**},وتخيرنا معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجا لموضوعنا والتفاتتنا هاته مردها إلى عوامل:

- اهتمامنا الخاص بالشعر الجاهلي الذي هو حجر أساس في صرح الأدب العربي, وما حمله إلينا من أيام العرب وأحوالها,وتقاليد العروبة التي تربو في ظلالها,والتي ورثوها عن أسلافهم الأمجاد.
- خصوصية الشعر الجاهلي وما يزخر به من قيم أخلاقية, اعتمدها الشعراء عاملا في التباهي والفخر.

شعر زهير الذي يمتاز بالعفة والحلم والحكمة.

- قوة البيان التي امتلكها زهير ومدى استعماله تقنيات فنية عالية في رسم الخطوط العريضة للحياة السعيدة.

وقد قسمنا هذا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول, يشتمل كل منها على عناصر نجملها فيما يلي:

المدخل الذي يتضمن نبذة عن الشعر الجاهلي، كما تطرقنا الى جملة من الخصائص إلى جانب بعض القيم الفنية الخاصة بالشعر الجاهلي .

الفصل الأول تحدثنا فيه عن القيم الأخلاقية,حيث أبدينا أراء بعض المستشرقين والعرب القائلة بأن نظرة العربي في العصر الجاهلي كانت مادية,وفندنا دلك بعد أن أتينا بأمثلة ساطعة تدل على ترفع العربي عن المادة ومدى تمسكه بقيمه الأخلاقية فحافظ عليها حفاظه على الروح.ثم انتقلنا بعد دلك إبانة المصادر والدوافع التي جعلت العربي متخلقا كريما,حاملا لمبدأ الرجولة والإنسانية,ومن بين هده

ثم ان الدوافع البيئة وطبيعتها الصحراوية,ونظام القبيلة,وشخصية الإنسان العربي المعروف عنها بالإباء والحلم والحكمة والشجاعة والوفاء...وغيرها.

أما الفصل الثاني الذي أشرنا فيه إلى النزعة الأخلاقية وتجلياتها في الشعر الجاهلي حيث أبدينا فيها المقصودة بالنزعة الأخلاقية ثم عرجنا إلى أهم القيم الأخلاقية التي وردت في الشعر الجاهلي, وخصصنا بالحديث عن بعضها كالآباء والحلم والكرم والشجاعة والحزم والصبر, التي أظهر الشعراء فيها صورا تعكس الروح الإنسانية عند العرب.

ثم الفصل الثالث تعرضنا فيه لجماليات النص الأخلاقي في معلقة زهير, وقد قسمنا هدا الفصل إلى عناصر,أولا تحدثنا عن النزعة الأخلاقية من خلال المعلقة,ثم انتقلنا إلى دراسة أثرها في بناء الصورة,من حيث اللغة وعناصر الصورة الموجودة في تلك النصوص الأخلاقية.

ثم أتينا بكلمة ختامية لهدا البحث تضمنت أهم نتائجه, وأر دفناها بفهرس للمصادر والمراجع.

وكل باحث تواجهه صعوبات في انجاز بحثه ، حيث صادفتنا جملة من الصعوبات التي لم تنقص من عزمنا بل حفزتنا على بدل جهد أكبر من أجل تقصي الحقائق وهذا وفق ما يقتضيه البحث العلمي ، إضافة إلى قصر المدة وضيق الوقت .

وفي الأخير نتمن بأن يلقى بحثنا هدا الرضا والقبول من الجميع, فإن وفقنا فمن الله وحده وإن كان غير دلك فمن أنفسنا والشيطان,والله نسأل السداد والرشاد,إنه سميع مجيب.

# المدخل

## نبذة عن الشعر الجاهلي :

الشعر الجاهلي هو الشعر العربي الذي قيل قبل الإسلام بنحو من مائة و خمسين إلى مئتى عام في رأى بعض المحققين الذين إشارو ا إلى الشعر إن الشعر الناضج يعود إليها وقد اشتمل على شعر عدد كبير من الشعراء على رأسهم شعراء المعلقات مثل عنتره وزهير ولبيد وامرئ القيس كما ضم دواوين عدد من الشعراء و الشاعرات الذي وصلنا شعر بعضهم كاملا تقريبا ووصلتنا شذرات من شعر بعضهم ويتميز هذا الشعر بجزالة لفظه ومتانة تراكيبه واحتوائه على معلومات غنية عن البيئة الجاهلية بما فيها من حيوان وطير[1] وجماد كما إنه عبر عن إحداث حياة العرب وتقاليدهم ومعاركهم المشهورة وأماكن معيشة قبائلهم وأسماء آبار مياههم وأسماء فرسانهم المشهورين و محبوباتهم حتى قال عمر بن الخطاب رضي اللهعنه (كان الشعر علم قوم لم يكن لديهم علم اصح منه ) واعتبر هذا الشعر سجلا لحياة الأمة العربية قبل ظهور الإسلام كما اعتمد عليه علماء اللغة في وضح قواعد النحو و الإستشهاد على صحتها واعتمد عليه مفسر و القرآن في بيان معنى الكلمات ومدى ورودها في لغة العرب .

### أ- خصائص الشعر الجاهلي :

1- الصدق :كان الشاعر يعبر عما يشعر به حقيقة مما يختلج في نفسه بالرغم من إنه كان فيه المبالغة ، مثل قول عمرو بن كلثوم .

2- البساطة : أن الحياة الفطرية و البدوية تجعل الشخصية الإنسانية بسيطة ، كذلك كان اثر ذلك على الشعر الجاهلي .

---

[1] 1- محمد زغلول السلام ، مدخل إلى الشعر – دراسة في البيئة والشعر ، مطبعة الانتصار، الإسكندرية ، مصر ،(دت)، ص ص125- 127 .

3- القول الجامع : كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة ، فمثلا قالوا في امرئ القيس بقصيدته << قفا نبك >>انه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب و المنزل في بيت واحد.

4- الإطالة : كان يحمد الشاعر الجاهلي ان يكون طويا النفس ، أي يطيل القصائد واحيانا كان يخرج عن الموضوع الأساسي ، وهذا يسمى الاستطراد

5- الخيال : هو أن اتساع افق الصحراء قد يؤدي ألى اتساع خيا الشاعر الجاهلي .

**ب- قيمة الشعر الجاهلي :**

1- القيمة الفنية : وتشمل المعاني والأخيلة و العاطفة و المسيقي الشعرية ، حيث نظم الشاعر الجاهلي اكثر شعره على اوزان طويلة التفاعيل .

2- القيمة التاريخية : كان الشعر وسيلة نقل معاناة الناس وشكواها إلى السلطة ، فالشعر الجاهلي يعتبر وثيقة تاريخية بما يخص أحوال الجزيرة وأحوال العرب الاجتماعية .

لعل من المتعارف المتفق عليه لدى الجميع أن الشعر الجاهلي حمل في طياته أيام العرب وأخبارها,فهو أهل بأن يكون ديوانهم :{ ... كل أمة تعتمد على استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب,وشكل من الأشكال، وكانت العرب تحتال في تخليدها بأن تعتمد على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان دلك هو ديوانهم }[1] والحق أن الشعر الجاهلي يمثل الحياة الجاهلية بشقيها العقلي والفكري على حد سواء.

---

[1] الجاحظ ،كتاب الديوان ، تحقيق :عبد السلام هارون ،مطبعة مصطفى بابلي الحلبي وأولاده ،مصر ، 1982 ، ص132 .

إن في هدا الشعر الجاهلي وفرة من القيم الفنية الأصيلة لم يحظ بها كثير من الشعر بعده,ففيه من خصب الشعور, وصدق الفن,وصفاء التعبير,وأصالة الطبع ودقة الحس,وقوة الحياة ما يجعله أصفى تعبير عن نفس العرب,وأصدق مصدر لدراسة حياته وحياة قومه.

فرؤية الشاعر الجاهلي للحياة كانت تصويرا حقيقيا لكل ما يحيط به من أمورها,فجسد اللغة الفنية الراقية تجسيدا مدهشا,تصور الشاعر وأحاسيسه بما برز فيها من قيم أخلاقية ومثل عليا, وشمائل قلما نجدها عند غيره من عرب أو عجم.

فكان العربي تواقا إلى الخير ,خليقا بحسن المحمده,صانعا لمبدأ الرجولة عارفا بالحكمة والبصيرة النفاذة, والروح الإنسانية في الكرم والسماحة والنجدة وسعة الأخلاق والإيثار, وما هدا إلا غيضا من فيض .

# الفصل الأول

## الشعر الجاهلي ومصادر الأخلاق فيه

- ✓ مصادر الشعر الجاهلي
- ✓ مصادر الأخلاق في الشعر الجاهلي
- ✓ أراء النقاد في أخلاقيات الشعر الجاهلي

لم يسلم الشعر الجاهلي من التهكم والشك في صحته وصحة موضوعاته,بل هناك من أنكر هدا الشعر برمته ورفضه جملة وتفصيلا,وحتى الشك في وجود من نسب إليهم هدا الشعر.لكن هؤلاء النقاد هدموا تاريخ العرب من جذوره ونقضوا كل محمده يتباهى بها العرب,ووصفها بالوضع والانتحال إلى غير دلك من طعنات وشكوك.

**مصادر الشعر الجاهلي :**

رأينا في ما مضى بكثير من الإسهاب كيف أن علماء البصرة والكوفة اهتموا برواية الشعر الجاهلي وجمع مادته الغزيرة تارة في منتخبات عامة كالمعلقات وتارة أخرى في دواوين مفردة للشعراء والقبائل وعليه يجذر علينا الإشارة إلى مصادر الشعر الجاهلي فيما يلي :

**أ– المعلقات :**

هي مجموعة من القصائد الطوال الموثوق بصحتها أصغرها معلقة عبيد بن أبرص في خمسين بيتا وأطولها معلقة عمر بن كلثوم في ثلاثمائة بيت ، حيث بلغ كلف العرب بها حدي تعليقها على أستار الكعبة كما زعم ابن عبد ربه الأندلسي وابن رشيق القيرواني وعبد الرحمن ابن خلدون .

ومن هذا المنطلق حملت المعلقات عدة أسامي نذكر منها المذهبات والسموط والسبع الطوال .

**ب– المفضليات :**

هي ثاني مجموعة من المنتخبات الشعرية جمعها راوي الكوفة الثقة المفضل بن محمد بن يعلى الضبي وحملت اسمه وتتألف المفضليات حسب ما جاء في قول ابن النديم في الفهرست من مئة وثمانية وعشرين قصيدة ، وقد تزيد أو تنقص .[1]

**ج– الأصمعيات :**

إنها ثالث مجموعة اختار قصائدها الراوي البصري عبد الملك ابن قريب الباهي وسميت باسمه ، وتحتوي الأصمعيات على اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة منسوبة في معظمها إلى شعراء جاهلين ومخضرمين وتعتبر الأصمعيات في نظر العلماء المتقدمين والنقاد المحدثين أدنى قيمة من المفضليات لاحتوائها

---

1– زوبير دراقي ، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1994 ،ص .ص 128 – 130 .

على القليل من الغريب واختصار صاحبها لرواية الأشعار المنتخبة وهي في الحقيقة تكملة للمفضليات وإن لم تحظى مثلها باهتمام الشراح.

### د- جمهرة أشعار العرب :

هي رابع مجموعة جمع فيها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي عيون أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ،وقسمها بعد مقدمته عن فائدة الشعر و رأي الرسول فيه وفي شعرائه إلى سبعة أقسام متساوية ،في كل قسم سبع قصائد لسبع شعراء يربطهم عنوان واحد .

### ه- مختارات ابن شجري :

هي خامس مجموعة انتقى أشعارها من الجاهلية والإسلام الشريف أبو سعادة هبة الله ابن الشجري وسماها ديوان مختارات شعراء العرب ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام غير متساوية ، حيث تشتمل الأولى على اثنتي عشرة قصيدة مختارة من ديواني المتلمس وطرفه ، والثاني يتضمن مختارات من دواوين زهير أما الثالث فهو خاص بالحطيئة .

### و- دواوين الحماسة :

يمكن اعتبارها من صنف المختارات الشعرية ذات القيمة الأدبية بالدرجة الأولى وأقدم الحماسات حماسة الشاعر أبي تمام .

### ز- الدواويين الشعرية :

هي دواويين المفردة التي ألفها علماء العراق وعلى رأسهم السكري في القرن التاسع ميلادي ، حيث اعتمدوا على الروايات الصحيحة ، فجاءت في حجم ضئيل وأطولها كدواويين الشعراء الستة[1].

---

[1] زوبير دراقي ، المرجع السابق ، ص .ص 130 –133.

## 1- مصادر الأخلاق في الشعر الجاهلي:

من المهم الحديث عن القيم الأخلاقية الجاهلية وتحديد طبيعتها وآلياتها, لكن الأمر الدي يستدعي الوقوف عنده هو الحديث عن العوامل والمصادر التي ساهمت في ظهور هده الأخلاق ورسختها في نفسية العربي, فقد حملها الشعراء إلينا وتغنوا بها في قصائدهم,فمنها من كان سببه البيئة والقبيلة وطبيعتها الاجتماعية وشخصية الإنسان الجاهلي.

### أ- البيئة :

ليس هناك أدنى شك أن أخلاق الجاهليين كانت وليدة بيئتهم الصحراوية القاسية , وعيشها الشظف, وما عرف عنهم أنهم كانوا أهل بداوة على الغالب,رحل يترامون في أرجاء الصحراء, وأبرز ما تميزوا به الفقر ,فقد عاشوا في أرض يندر فيها الخصب وتنعدم فيها المواد الأخرى التي تقوي على الحياة وتحفز إلى الهدوء والاستقرار والخضوع إلى سلطان يكبح جماح حريتهم.لذا كانت حياتهم متحركة غير مستقرة مضطربة ,يرقب الجاهلي فيها مواقع المطر,فيهرع إليها أينما كانت لعله يظفر منها بمراع لإبله وشاته التي هي عماد حياته.

وهذه الصحراء يضيق جوفها عن أن يمد لقطانها من أسباب العيش إلا بما تزخر به هذه الصحراء ,فكان العربي يتنكب قوسه ويعلق كنانته ويحمل رمحه ويتقلد سيفه ثم يضرب في الفيافي باحثا عن قوته بين حيوان الصحراء,وقد يكون هو الصيد.

فقساوة الصحراء وطبيعة مناخها جعلت العربي متجلدا صابرا كما زرعت في روحه الفضيلة والكرم والتسامح كما علمته الشجاعة بمسالكها الوعرة وكثرة مخاطرها وغلبة وحشها ورياحها يقول الرافعي:{... شريعة الطبيعة التي أدبتهم هذا الأدب بل هو شعرها في أخلا قهم }[1]

---

1- مصطفى صادق الرافعي ،تاريخ الأدب العربي دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4، 1994 ، ص 32 .

وربما لولا هذه الظروف القاسية التي عاشها العربي في صحراء عاتية موحشة لما عرف عنده الكرم والشجاعة والحزم وكل ما يمت بصلة بالأخلاق فكان عندما يعم البؤس وتبخل السماء عن المطر نجدهم يقبلون على المسير ,وهو إحدى مظاهر الكرم, فكان العرب يقدمون النوق السمان، ويتقامرون عليها ثم يوزعونها فيما بينهم يقول عمرو بن قميئة:

إِنِي مِنْ القَوْمِ الذِينَ إِذَا أَزَمَ الشِتَاءُ وَدَخَلْتُ حُجُرَهْ
وَدَنَا وَدُوْنِيَتْ البُيُوتُ لَهُ وَثَنَى، فَثَنَى رَبِيْعَةُ قَـدرَهْ
وَضْعَ المنِيحَ وَكَانَ حَظَهُمْ فِيْ المنْقِيَاتِ ,يُقِيْمُهَا يُسُرُهْ[1]

فهنا الشاعر يظهر السبب الذي دفعهم إلى المسير والقداح هو عندما يزم الشتاء ويشتد القحط فيه, وفي الأخير تتوزع الإبل فيما بينهم بيسر وعدل , وبذلك تكون البيئة قد أسهمت في نمو صفة الكرم عند العرب في الجاهلية.

### ب–القبيلة:

من المعلوم أن القبيلة كانت بمثابة الدولة, لها نظامها الخاص من أعراف وعادات وتقاليد. نظام دستوري قائم بذاته, كما كان العربي بحاجة إلى من يحميه ويحفظ لنفسه عزتها وأنفتها وكبريائها, وإلا فكيف يعيش وحده وسط تلك الإضطرابات والفوضى التي لا تفرض نظامها,

---

1–أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق :محمد حسن نقش ، دار الغرب الإسلامي ، 1991 ، ص 622 .

ولا تحقق عدالة. لذا لجأ إلى الخضوع لحكومة مصغرة تكون مسؤولة عنه تحميه وتؤمنه, وهو ممثلها أمام القبائل الأخرى, وفي النوادي والأسواق, وقد طبعت هذه الحياة البدوي على صفات خاصة. فكانت الحياة الجاهلية صاخبة, عراك دائب. حروب مهلكة, فهولا يتحمل الضيم أبدا لما يريد أن يرفع قبيلته ويشيع رهبتها بين القبائل الأخر,فكان العربي يقاتل في سبيل العزة والشرف ومن أجل حماية الجار وفي الثأر. ونجده الحليف والصديق ورغبة في الزعامة والسيادة.

كما كان يفتخر بقبيلته ويسعد بسعادتها ويحزن لتعاستها:[الرجل العربي مهما يعظم قدره, ويرتفع أمره, فرد من قبيلته لا عز له إلا إذا عزت ولا كرامة له إلا إذا كرمت][1] .

كما عرف عن عرب البادية أنها كانت تعيش قبائل متفرقة لا يجتمع بعضها إلى بعض إلا لحلف موقوت, فعرفت بالوفاء فيما بينها , وطبيعة هذه القبائل علمت العربي التحلي بصفات جليلة. يقول بشر بن أبي حازم أن بني خزيمة بن مدركة ذوو مجد قديم وهم حازوا ذلك المجد بخصال نبيلة:

أبي لبني خزيمة أن فيهم قديم المجد والحسب النضار
هم فضلوا بغلات الكرم معداحيث حلوا وساروا
فمنهم الوفاء إذا عقدنا وأيسار إذاإذا حب القتار[2]

---

1- طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1973 ، ج1 ، ص 111 .

2- أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، ص 576 .

ويقول زهير يفتخر ببني نسبه وأهله المعروف عنهم الكرم, فقبيلته زرعت فيه تلك الصفة, كما علمته الحكمة, يقول:

هم الأصل مني حيث كنت وإنني　　　من المزنيين المصفين بالكرم[1]

ويقول شبيب بن البرصاء المري:

ألم تر أنا نور قوم وإنما　　　يبين من الظلماء للناس نورها[2]

حيث جعل نفسه وقومه نور بلادهم لمكان الانتفاع به كما ينتفع بالنور في الليلة الظلماء, ويهتدي بهم غيره, لمعرفتهم وحسن نقاء سريرتهم.

تلك هي وظيفة القبيلة في تعليم أبنائها التفاني في الكرم والشجاعة والعزة وحب الضيف وحماية اللاجئ ونجدة المستغيث, كما نبغ في أوساط هذه القبائل شلة من العلماء العارفين بالحياة دعاة السلم والسلام.

### ج- شخصية الإنسان العربي:

كان للإنسان العربي في الجاهلية شخصية تظهر في شجاعته وصبره عن مساوئ الحياة وأخطارها التي عاشها, فكان محبا للخير ,مستأثرا بالذكر الحسن, حميد الصفات جلال الخصال.

فظهر تجلده وصبره على الجوع والفقر والظمأ ومغالبة الطبيعة في صحراء عاتية, فاستولت على أحاسيسه بوحشتها, فجعلته فذا مقداما كريما يقري الضيوف, يحمي الجار ويحفظ الوفاء,عف حكيم, طباع جعلته متخلقا سميحا مثالا يقتدي به:{ومع ما كان للبدوي من حسبان البادية ميدانا للفوضى والعبث, فقد حافظ على فكرة الضيافة والكرم, يبعث عليهما حرصه غلى جميل الذكر وتحصيل المحمده والرغبة في أن يعامل في بلاد كثرة المخاطر والمجاهل,

---

[1] زهير بن أبي سلمى، ديوان شعره ، تحقيق : علي فاعور ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط3، 2002 ، ص

[2] أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، ص 682 .

ويتجلى كرمه خصوصا في إيقاد النيران, ونحر الجزور, وإضافة اللاجئ, وكان في نفس البدوي على جانب الكرم كثيرا من الوفاء تبعث عليه المروءة وعزة النفس}[1].

فأولى بالشعراء إلى التغني بهذه الخصال والثناء عليها, فحاتم الطائي الذي يشهد له التاريخ خير من جسد الجود والسخاء,حتى جرت سماحته مجرى المثل السائر في قولهم:{أجود من حاتم}، ومن أقواله المأثورة في السخاء مخاطبا زوجته قائلا :

ذريني,يكن مالي لعرضي جنة يقي المال عرضي قبل أن يتبددا[2]

ونجد السموأل الذي ضرب به المثل في الوفاء.يقول الأعشى:

كن السموأل إذا سار الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله حصن حصين وجار غير غدار[3]

---

1- حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، المطبعة البوليسية ، بيروت ، ط6 ،(دت) ،ص 18 .

2-حاتم الطائي ، ديوان شعره ، دار الصادر ، بيروت ، (دت) ، ص 40

3- الأعشى ميمون ، ديوان شعره ، دار بيروت للنشر والتوزيع ، 1986 ، ص 69 .

## 3- آراء النقاد في أخلاقيات الشعر الجاهلي:

لعل أهم المواضيع الشعرية التي أثارت جدلا ونقاشا موضوع الأخلاق, فتحدث نقاد ومفكرون في هدا المجال, فمنهم من كان مقتضبا لا مفصلا, ومنهم من نفى عن العرب صفة الأخلاق وكل ما يمت بها صلة, مدعين بأنه مادي لا يفقه للمعنويات حسا, ومن الدين ركبوا مطايا الأهواء التي لا تحيد عن الزلل والخطأ نجد في مقدمتهم المستشرقين وبعض نقاد العرب.

فزعم بعض المستشرقين وعلى رأسهم أو ليري الذي يرى بأن العربي يعد مثالا أو نموذجا ماديا ينظر إلى الأشياء نظرة مادية محضة, لا يهتم بها ولا يقوم إلا بحسب ما يعود عليه من منفعة منها يقول: {إن العربي بطبعه مادي ينظر إلى الأشياء نظرة مادية وصحية ولا يقومها إلا بحسب ما تنتج من نفع.غلب الطمع على مشاعره وليس لديه مجال للخيال ولا العواطف ولا يميل كثيرا إلى ديوان يكترث بشيء إلا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية}[1].

كما نجد نولد كي الذي درس الدهنيات السامية وخصائصها فيرى:{ أن العربي كانت نظرته إلى الحياة نظرة جامدة جافة وصفية لا يهتدي إلا للمادة لا يخرج عن نطاقها}[2].

أما في المقابل نجد كتاب ونقاد عرب اعتمدوا قاعدة النقل والأخذ من المصادر الغربية دون أن تكون هناك روح نقدية تميز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ,وتجدر الإشارة هنا إلى ما علق عليه أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام والذي طرح فيه موضوعا مفصلا ذكر فيه آراء متشابهة لعلماء عرب ومستشرقين كابن خلدون و أو ليري, فلاحظ مقصودهم أن العرب لا يقدرون إلا المادة,والمادة فحسب,وأن المعنويات لا قيمة لها عندهم.

---

1- احمد أمين ، فجر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، مصر ،1968 ، ص 64 .

2- عبد الفتاح ملحس ، القيم الروحية في الشعر العربي ،دار الكتاب ، بيروت ، (دت )، ص 168 .

كما نجد الدكتور طه حسين الذي يقول: [ وكانت الحضارة المادية تدفع العرب إلى الأمام ][1]، فهو يتضافر مع المستشرقين في رأيهم الذي يحكم على أن العربي مادي محض، وأن المنفعة العملية والمادية هي الهدف الذي سعي إليه العربي.

وردا على هؤلاء نجد نقادا حاولوا إثبات العكس الذي أقره المستشرقون ومن معهم,من الدين امتطوا الخطأ وعدم التقدير.وبدءا بأحمد أمين الذي يقول: [ لو صح ما يروى لنا في كتب الأدب من حكايات الكرم والوفاء وبدل النفس عن سماحة في المحافظة على تقليد القبيلة,لتنافى كل المنافاة مع المادية ][2] .

ومن الباحثين في هدا الصدد نجد الدكتور شوقي ضيف الذي عارض رأي أو ليري الذي يقول فيه : [ العربي مادي بطبعه ضيق الخيال والعواطف ] ، فرد عليه بقوله :[... فهو بدلك يتجاهل أدبهم، وما يزخر به من أخيلة ومشاعر، وما امتلكته من سجية تفند دلك ] ، وأضاف معلقا على دلك بأن أو ليري يحتكم لتفوق الجنس الآري عن غيره من الأجناس فيقول :{... فهدا تعميم جنس ولا دليل عليه, وكأنما قادته إليه نظرية الأجناس البشرية، ويدعوا إليها أصحابها على تفوق الجنس الآري على ما سواه من الناس }[3] .

---

[1] - طه حسين ، حديث الأربعاء ، ج1 ، ص 182 .

[2] - أحمد أمين ،فجر الإسلام ، ص 35 .

[3] - شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، (دت )، ص 83 .

فالشاعر الجاهلي تحدث عن أصدق الإحساسات النبيلة,بما يدل دلالة قاطعة على مدى تقديره للقيم الإنسانية عامة والأخلاقية خاصة,وحتى الشعراء الذين سلكوا في تصرفاتهم وانحرافاتهم النهب والسلب,كانت لهم أخلاقهم النبيلة,وللرد على هؤلاء نكتفي بما سنثبته من أشعار تدل على ترفع العربي عن المادة, وتمسكه بالقيم الأخلاقية المتعددة الجوانب,وتجدر الإشارة هنا إلى مواقف ممدوحي زهير بن أبي سلمى اللذان ابتذلا الأموال الطائله من أجل أن يعم السلم و الأمن بين القبيلتين المتخاصمتين عبس وذبيان مع أنه ليس لهما ناقة ولا فرس في تلك الحرب التي كادت أن تقضي على الأخضر واليابس,فعمل هدين الرجلين على إحلال السلم في سبيل المحافظة على الشرف وصون العرض وغير دلك من القيم الإنسانية.

كما تحدث الشعراء عن هده القيم وما تحتويه من خصال وفضائل وعن دقة الحس وخصب الشعور، فتغنى طرفة بهده القيم بالحق والصلاح فيقول:

وَكَيْفَ تَظَلُّ القَصْدِ وَالحَقِ وَاضِحٌ        وَلِلْحَقِ بَيْنَ الْصَالِحِينَ سَبِيلُ[1]

وتحدث عنترة عن سماحة الخلق وكبح جماح النفس فيقول:

إِنِي امِرؤٌ سَمِحَ الْخَلِيقَةِ مَاجِدُ        لَا أَتَبعُ النَفْسِ اللُجُوجَ هَوَاهَا

ويقول في عدم تعديه على جارته وصون عرضها وشرفها:

أغض طرفي مابدت جارتي        حتى يواري جارتي مأواها[2]

---

[1] – طرف بن العبد ، ديوانه ، دار الصادر ، بيروت ، (دت ) ن ص80 .

[2] – عنتر بن شداد ، ديوانه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 2002 ، ص 153 .

وتحدث الأعشى عن كرم ممدوحه فهو يوقد النار لهداية الضال وابن السبيل كما توقد نار الحرب,وقد فاض الشعر بالحديث عن نار القرى يقول الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة      إلى ضوء نار باليفاع تحترق

تشب بمقرورين يصطليانها      وبات على النار الندى المحلق[1]

كما للوفاء حظ وافر فهو من أهم الخصال التي عرفت عند العرب وخير من جسدها قولا و فعلا السموأل الدي يقول في وفائه لإمرئ القيس وعدم تسليم دروعه لعدوه وإيثار دلك على قتل ابنه:

وفيت بأدرع الكندي أنني      إدا ماخان أقوام وفيت[2]

وعلى غرار دلك نجد أولئك المشردين والمهمشين الدين سلكو في انحرافاتهم المنحى المعاكس لقبائلهم,والدين عرفوا بالصعلكة فقّد امتثلت عندهم هده القيم.فنجد في مقدمتهم عروة بن الورد الدي كان يلقب بعروة الصعاليك, خير من جسد معاني الأخلاق وسما بها إلى درجة الفضيلة في أعماله وأقواله:{ لقّد كانّ عروةّ بن الورد يلقّب بعروةّ الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم وبقولهم إدا لم يكن لهم معاش أو مغزى,أما جوده فزائد فضفاض حتى فضله بعضهم على حاتم, كما كان كريم الأخلاق و عفيف صادق ,وفيا بالعهود}[3] ،وقد سار في نهجه الكثير من أولئك الصعاليك فيتضح في قول تأبط شرا:

لتقرعن على السلم من ندم      إدا تذكرت يوما بعض أخلاقي[4]

---

1- الأعشى ميمون ، ديوان شعره ، ص 69 .

2- عروة بن الورد ، ديوان عروة والسموآل ،دار الصادر بيروت ، 1969 ، ص69 .

3- محمد التنخي ، المختار في الأدب الجاهلي ، مطبعة الجامعة ، حلب ، سوريا ، ط1 ، 1978 ، ص 48 .

4- مفضل الضبي ، المفضليات ، تحقيق :قسي الحسين ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ،1998، ص 19 .

فهو يتحسر على أفعاله السيئة دلك لأنه عفيف متخلق حين يقبل على عمل سيئ,فتعترض له ذاته السمحة,فيدبر عن دلك.

وبهذا القليل من دلك الترادف الذي عني به الشعر الجاهلي من تلك القيم الأخلاقية يتضح بطلان تلك الآراء التي ترى بأن العرب في جاهليتهم لم تكن لهم قيم أخلاقية,ولا معان نبيلة, وأن العربي مادي,وأزعم أن أصحاب هده الآراء لم يتعمقوا في دراسة الشعر الجاهلي أو لم يشاءوا التعمق فيه بموضوعية متجرة من الأهواء.

# الفصل الثاني

## النزعة الأخلاقية وتجلياتها في الشعر الجاهلي

### النزعة الأخلاقية في الشعر الجاهلي

**اباء الضيم**

**الحلم**

**الجود**

**الشجاعة**

**الصبر**

**الحزم**

## النزعة الأخلاقية في الشعر الجاهلي:

النزعة الأخلاقية في الشعر الجاهلي هي صدق التعبير عن الإنسان في مختلف حالاته النفسية من سرور وغضب وهدوء وصخب وغير ذلك من الرغبات التي تنمو في كيانه فيعبر عنها أصدق تعبير غير مشوب بالتصنيع وغير مضطرب من الزيف,وبذلك تكون الأخلاق هي الحس الإنساني العميق الذي يسلمنا إلى أفكار إنسانية سامية ومواقف نبيلة وتلك هي الإنسانية في الشعر:[ الإنسانية في الشعر تتمثل في خلاصة من التقليد وضيق الأفق الذي يزين على طبع الإنسان غشاوة من الجهل والجمود,بمعنى أن يكون الشعر إنسانيا عاما][1] ، فهذه هي مهمة الشعر التي كانت ولا تزال تلعب دورا هام في إملاء حقيقة الإنسانية المتشبعة بالروح الفاضلة. وهذه الحقيقة الإنسانية هي صلة الإنسان الجاهلي بالحياة والكون والطبيعة وفي البقاء من أجل التواصل والدفاع عن قيمه الخلقية وكرامته. حيث نلمح في ديوان العرب ما يصلح لأن يكون قانونا من قوانين الحياة السعيدة ,فتأمل الإنسان وما فيه من روح وحب وفضيلة وقيم,وكل ما يجسد معنى السعادة المثالية والفضيلة الأم:[ فضيلة تقدير الحياة والنفس الإنسانية][2] ،فكان الشاعر يعالج كل مراد لم يبلغه وطائر أمل لم يقتنصه باعتبار أن من الشعراء من كان تواقا إلى الخير, خليقا حكيما, ولم يدع للحسد سبيلا إلى قلبهم وعدو كل قيمة أخلاقية فوزا عظيما ينتصر فيه عالم الفضيلة على عالم القبح والرذيلة:

[ فالشاعر عضو في مواقف الجماعة الإنسانية له رسالة سامية يبلغ جمال فنه وما فيه من بهجة النفوس , وإرهاف العواطف... فيستطيع الشاعر أن يضيف إلى رسالته الأدبية رسالة إصلاح وهذا لم

---

[1] عبد الحميد دياب ، النزعة الإنسانية في شعر العقاد ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1969 ، ص 18 .

[2] صلاح عبد الصبور ، قراءة جديدة لشعرنا القديم ، منشورات اقرأ ، بيروت ، ط3 ، ( دت ) ، ص 3 .

والرذيلة:"فالشاعر عضو في مواقف الجماعة الإنسانية له رسالة سامية يبلغ جمال فنه وما فيه من بهجة النفوس , وإرهاف العواطف.. فيستطيع الشاعر أن يضيف إلى رسالته الأدبية رسالة إصلاح وهذا لم يتأتى إلا لشاعر يعتمد إحكام العقل والمنطق فيتصرف إلى سن القوانين الخلقية وضرب الأمثال فتغلب عليه صفة المعلم الإجتماعي"[1] ، وبهذا كانت أخلاق العرب الجاهلية, كما حملها الشعر قد تناولت طبيعة النفس العربية بنظرتها الشمولية الواضحة التي تعترف بالواقعية الإنسانية –كما هي- وتعترف بالروح والخير والإرادة والأهواء, كما تناولت دراسة أفعال الناس بالقياس إلى مثل أعلى, ويمكن نرد سمات الأخلاق المعنوية في العرف العربي القديم إلى صفات رئيسية بم تدل على الكرم ,الشجاعة والصبر والحلم والإباء والحزم والحكمة...إلى غير ذلك من القيم والخصال الحميدة التي عرفت عند العرب في الجاهلية.

## أ- إباء الضيم:

إباء الضيم صفة عزيزة على الجاهلي ,فالأنفة عنده أعز من الحياة ,والذل أشقى من الموت وهذه العاطفة الشريفة تملأ الشعر الجاهلي وتتسرب إلى مراميه وموضوعاته فالشاعر إذا مدح افتخر, وإذا هجا افتخر, وإذا وصف أو تغزل افتخر ,وأكثر ما يكون مفتخرا بعزة النفس وكبرياء.وكانت هذه العزة ثمرة من ثمرات الحرية التي عشقها العربي, وأرضع لبانها في تلك البيئة ,فكان سيد نفسه,لا يرضى إلا بما يطيب لهواه ضف إلى ذلك تراه لا يعترف بسيادة ولا يقر بسلطان, إلا أن يقهر أو يغلب على أمره. وهذه الصفة ألصق بحياة البداوة, وأبرز في الشعر الجاهلي ,وكل ذلك متمثلا في

---

[1] - بطرس البستاني ، أدباء العرب الجاهلية والإسلام ، دار الثقافة ، بيروت ، (دت )، ص 132 .

شخصية العربي التي تأبى الذل والظلم وترفض القصر والازدراء والاحتقار, والظاهر أن العرب احتفظوا بهذه الخلة الخلقية وأوردوا فيها بالغ الأهمية.يقول المتلمس الضبي في هوان الذليل:

إن الهوان حمار الأصل يعرفه      والحر ينكره والرسلة الأجد
ولا يقيم على خسف يسام به      إلا الأذلان غير الأهل والوتد
هذا على الخسف معقول برمته      وذا يشبح فلا يبكي له أحد[1]

فالحر يعتصم بالأنفة ويتشبث بعزة النفس ولا يرضى الذل إلا الحمار الذي يقاد برمته إلى حيث لا يدري ,حيث أن مقام الذليل لا يستبعد عن مقام الحمار المعروف عنه بالبلادة والغباء.والعزيز بالنفس تتعذر عليه الإقامة حيث تمس كرامته ,وهاهو الشنفرى أحد الصعاليك العرب يأبى عن نفسه الذل ,يقول:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى      وفيها لمن خاف القلى متعزل
لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ      سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل[2]

وبهذا فإن الكريم كريم حيث ما كان,ولا يمنح القيم إلا لماجد بطل كالشنفرى :{اهتدى الشاعر بنور القمر والعقل فبدت له الأرض واسعة ,وأن على الكريم, والكرم كالمروءة والفترة رمز لكل الخصال والشمائل الرفيعة ,كما نعرف في هذا الشعر أن يبتعد عن الذي وأن يفر من البغضاء, وهاهو ذا يفارق قومه ويفيء إلى ذاته يتأملها}[3] .

---

[1] -المفضلي الضبي ، المفضليات ، ص 72 .

[2] - الشنفري ، لامية العرب ، تحقيق :محمد بديع شريف ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1968 ، ص 28 .

[3] - وهب أحمد رومية ، شعرنا القديم والنقد الجديد ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط1 ، 1966 ، ص 165 .

وبهذا نلاحظ أن العزلة التي هي شرط جوهري من شروط التفكير هي التي أدت بالشاعر إلى اليقين ورفضه الذل والاحتقار, وقد انتهى به المطاف إلى حقيقة إنسانية خالدة ,العزة بالنفس,يقول:

واستف ترب الأرض كي لا يرى له　　　على من الطول امرؤ متطاول[1]

فهو يبقى عزيز النفس ويفضل في ذلك أن يستف التراب عليه على أن يتطاول عليه امرؤ.

والشعور بكبر النفس هو الذي يدعو إلى الإباء ,وقد يقترن إكرام النفس بشرط يدفع الناس إلى إكرامهم له يقول زهير بن أبي سلمى:

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه　　　ومن لا يكرم نفسه لا يكرم[2]

فالعزيز بنفسه لابد أن يكرمها , ويأبى بها عن الذل و الهوان حتى يحترم من طرف الناس ولا يمسون كرامته, وبهذه الصورة التي رسمها هؤلاء الشعراء وهي قليلة من ذلك التراكم الفياض, تؤكد على أن العربي يعتز بنفسه يقومها بالافتخار هذا ما يكشف عن جانب من جوانب الأخلاق عند العرب , الذين امتنعوا عن التبعية لسيد من السادة أو ملك من الملوك اعتزازا بكرامتهم, وإيثارا للحرية التي هاموا بها, وملكت عليهم أمرهم.

**ب- الحلم:**

وهو الصفح والطمأنينة والأناة و التعقل,وضده الطيش وهو السكون عند القدرة والقوة, ويقال أنها تكون النفس مطمئنة لا يحركها الغضب بسهولة, ولا تضطرب عند إصابة المكروه,فهاهو لبيد يقول:

لا يطبعون ولا يبور فعالهم　　　إذا لا يميع مع الهوى أحلامها[3]

---

[1] 1- الشنفرى ، لامية العرب ، تحقيق محمد بديع الشريف ، ص 30 .

[2] 2- زهير بن أبي سلمى ، ديوان شعره ، دار الكتاب المصرية ، ط1 ، 1982 ، ص 88 .

[3] 3- لبيد بن أبي ربيعة ، ديوان شعره ، دار بيروت للطباعة والنشر ، (دت ) ، ص 73 .

فهو يذكر الخصال التي تتحلى بها قبيلته أو بالأحرى أهله فأحلامهم لا يمسها الطيش ولا يقر بها الدنس,وأنهم لا يميلون مع الهوى فأحلامهم تغلب على ما هو أهم.

ونلاحظ أن المهلهل يوصي أخاه كليب وينصحه بالحلم, عندما نشبتبينه وبين جساس قال:

فأخره إن الشر يحسن آخرا وقدم فإن الحر للغيظ كاظم[1]

يوصيه أن يعتصم بالحلم والتعقل أولا,وينهاه عن استعمال البطش, ويعلمه أنه هو الملجأ الأخير ,فالحر الكريم من لا تحركه المكاره.

ونجد عنترة الذي يرى أن الطيش لا مطمع له في المكانة الرفيعة بين الناس.يقول:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

فيرى أن الحليم لا يكترث للحقد ولا يمتلكه الغضب, لأن الإنسان مهما كان لا يستطيع أن ينال العلى بأن يظفر به الغضب والطيش.يقول أيضا:

وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب[2]

فهو يعرف أوقات الحلم كما يعرف أوقات الجهل, لكن يجعل الحلم هو المهم لأنه صفة متميزة لا يحسن صنيعها إلا من كان ظافرا بالصبر واحتمال المكاره مثل عنترة.

ويقول مرار بن سعيد الفقعسي:

وللحلم خير فاعلمن مغبة من الجهل ألا تشمس من ظلم[3]

---

1- أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، ص 623 .

2-عنترة بن شداد ، ديوان شعره ، ج2 ، ص. ص 10- 12 .

3- أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، ص 678 .

فالحلم عنده خير وإن الجهل صفة مذمومة تظلم النور وتحجبه عن الخير وأن عاقبة الجهل هو القهر والازدراء,والحلم هو العقل الذي ينير للإنسان الطريق لاكتساب المعرفة.

وبهذ يكون الحلم خير ما استطرد به إلى حسن البلاء ,والتعلق والرزانة,والمعرفة الحقة بالصواب,وكظم الغيظ, والعفة عند المقدرة.

**الجـــود:**

إن البيئة العربية قد بات معلوم أنها صحراوية على الغالب , شحيحة الأمطار, نادرة الخيرات,تسلط على الإنسان الحرمان وتلقي به بين براثن البؤس. فكان النظام الاقتصادي قد استقر على الاقتصاد البضاعي, واحتكرت وسائل الإنتاج سواء كانت أشياء أو حيوانات أو بشرا,وتفاقمت أهمية المادة, فكان الجوع من أشد وأقصى مظاهر البؤس ,وأكثرها إيلاما في البيئة الجاهلية,أشد ما تألم به الشعراء أنفسهم.

فكان العربي حريصا على إبقاء الصيت الحسن بين الناس,والرغبة في التواصل على الأرض جعلته معطاء كريما بغية الحفاظ على الأنساب والأحساب وربما كان من دواعي الاستغراب أن يتصف بالكرم شعب فقير كالشعب العربي البدوي في الجاهلية, لما عرف عنه بخشونة الحياة, وقلة الموارد,ولكن هذا الشعب النبيل بدلا من أن يحمله الفقر على الحرص والبخل والأنانية,دعاه إلى العطف بالجود والبذل والتضحية لإقالة عثرات الحياة:[ فضيلة الكرم من أمهات فضائل النفس ,لأنها الفضيلة التي ينزل بها صاحب المال عن ماله للفقير المحتاج إليه,وحرصا لإنسان على المال طبيعة في النفوس لأنه قوام حياته والوزر له من أحداث الزمان, وينزل بمقتضاها صاحب الطعام عن طعامه ليبذله للجائع الذي لا يجده,ولعل صاحب الطعام في أشد الحاجة إليه... تلك الفضيلة كان لها شأنها في المجتمع المجتمع الجاهلي][1] .

---

[1] - بدوي بطانة ، معلقات العرب ، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر العربي ، دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1974 ، ص 278 .

فكان الواحد منهم لا يحجم عن اقتسام زاده القليل مع الغريب الجائع ، ولا يتردد أن يقري ضيفه كل ما يملك ، ويبيت على الطوى، وأخبار العرب التى تثبت هذا الأمر تكاد لاتحصى .

لذلك تباهى الشعراء بالجود والمال وأبدوا لهما دلالات في فرط الكرم ،فنعثر على الكثرة المطلقة منها في المفاخر والمدائح .

ووجه الحكمة في الكرم عند الجاهليين هو الثناء المكتسب للمال والمعطي إياه غيره كماأنه وسيلة لتأكيد التمييز والتفوق .

وليس حب الشعراء لهذه الفضيلة إلا مظهرا من مظاهر الحكمة ،فكان التسابق الكرم والجود على الضيوف من أروع الصور التي صورها الشعراء للكرم . فيقول أحد الشعراء :

وَمُسْتَنْبِحٌ قَالَ الصدَى مِثْلُ قَوْلِه    حَضَأْتُ نَارًا لَهَا حَطَبٌ جَزْلٌ
فَقُمتُ إِلَيْهِ مُسْـرِعًا فَغَنَمْتُهُ    مَخَافَةَ قَوْمِي أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْل
فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا وَأَوسَعْتُه قرى    وَأَرْخَص بِحَمْدٍ كَانَ كَاسِبُهُ أَكْلُ[1]

هذه الصورة واضحة جلية يصور الشعراء فيه مدى حبه للضيوف حيث أنه يسرع لاستقبالهم ويحب أن يكون هو الأول في إقراء الضيف وأن يقدم له ما استطاع و نرى عروةّ ابن الورد الذي يحب إقراء يقول :

فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ وَ البَيْتُ بَيْتُهُ    وَلَنْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ

أُحَدِثُهُ أَنِي الحَدِيثُ مِنَ القِـرى    وَتَعْلَمْ نَفْسِي أَنَهُ سَوْفَ يَهْجَعُ[2]

---

1- أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، ص 104 .

2- عروة بن الورد ، ديوان عروة و السموآل ، ص 49 .

فهو يجعل من فراشه فراش الضيف و البيت بيته ولايبخل عليه حتى بالحديث الحلو الذي يطمأن وترتاح له النفس وتهجع من غبوتها .

وقد أبدى الشعراء صورا كثيرة لأصحاب الكرم حيث جعلوا من الجود المعطاء قمرا وإلها ونهرا ، فرتبطت صورة الرجل المثال بالقمر .يقول زهير ابن أبي سلمى :

أَغَرُّ أَبْيَضُ فَيَّاضٌ يُفَكِّـكُ عَنْ          أَيْدِي العُنَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرِّبَقَا

لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُنْيا بِمَكْرَمَـةٍ          أُفَقَ السَماءِ ، لَنَالَتْ كَفَهُ الأُفُقَا[1]

فهذه التصريح بصفات الممدوح والمتمثلة في الفضائل و الكرم وهي يكون معناها القريب،ما يميزه القمر الإله . فطبيعي (أن القمر إغر أبيض ) وفياض لارتباطه بأسطورة المطر ، فالرجل المعطاء لا يبخل عن المحتاجين ولا يتأخر في فعل الخير كما أوضح الشعراء صورة الرجل الإله المعبود و السيد هو الرمز و القدوة :{ الرجل ذا المكانة القيادية في المجتمع البدائي يأخذ صورة الرمز البديل لمعبود المجتمع }[4] وهذا ما يصادفنا حاتم الطائي فلو لا صورة الكرم التي جسدها قولا و فعلا لما كان سيدا بين بني قوم يقول :

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان *
كلية الآداب
مكتبة اللغة و الأدب العربي

يَقُوْلُونَ أَهْلَكْتَ مَالَكَ اِقْتَصِدِ          وَمَا كُنْتَ لَوْلاَ مَا يَقُوْلُنَ سَيِّدَا[3]

فهو يؤكد على السيادة داخل دائرة العمل الخيري و تلك الصفة جعلته رمزا في مجتمعه بالإضافة إلى ذلك ما عرفعن حاتم وما جاء في شعره ، ومدى حبه لفضيلة الجود ، حتى أنه في أغلب الأحيان كان يؤثر على نفسه مخافة من مذمات الأحاديث .

---

1- زهير، ديوان شعره ، ص 12 .

2- علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ،بيروت ،ط3 ،1993 ، ص 184 .

3- حاتم الطائي ، ديوان شعره ، ص 91 .

هكذا صور الشعر فضيلة الكرم ، التي تخلّق بها العربي ، وغالي بها العرب إلى حد الإسراف ، ويبدوا أن الجود وكأنه ملتقى كل القيم الإنسانية ، وكأنه متوزع فيها مخالطة لها فهناك الجود بالنفس و الجود بالمال و بالعقل و المشاعر .... ولو نضب في أي منها لفقدت جماليتها.

**الشجاعة :**

الشجاعة ظاهرة إنسانية عامة، تتنوع مستوياتها وآلياتها بتنوع شروطها الذاتية و الموضوعية ، و الشجاعة في الثقافة البدائية هي التفوق ، وغالبا ما نجدها مرتبطة بالقوة ويمكننا أن نرد هذا التصور البدائي كما عرف الإنسان و مغالبته للحياة والطبيعة القاسية .

و التصور البطولي من منظور العربي القديم هو نفسه في العرف البدائي الإنسان ، وتكاد أن تكون الشجاعة أو البطولة واقعا حقيقيا ، وتكون الشجاعة إحدي أشكال الإرادة و الكمال ، فغنى الشعر العربي الجاهلي بهذا التصور في المثالية ، ومفهوم الشجاعة قد يكون من منجزات الشاعر نفسه ، وقد ينجزه غيره ولا تتم صورة الشجاعة في الصف الأخلاقي لو لا أن يقيم البطل التواصل بين مجتمعه وذاتيته ، فالشجاع هو مسؤول عن نفسه وعن كيانه :{ لا يقيم الفرد البطولي فاصلا بين ذاته ، و الكلالاجتماعي ، الذي هو جزء منه ، بل يعتبر نفسه أنه يؤلف وهذا الكل وحده جوهرية }[1] .

وهذا هو سر الاندفاع والتضحية من أجل الفوز بوسام البطولة في نظر الجماعة . قد تكون المسؤولية دافع لإظهار الفعل البطولي ، كما للقهر سبب في ذلك يولد الانفجار ويكون هذا وذاك مرتبطين إرتباطا وثيقا بالحماسة فيكون الاعتدال والبطولة .

---

1- أحمد محمد خليل ، في النقد الجمالي ، رؤية في الشعر الجاهلي ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1996 ، ص 114 .

وإن كانت الشجاعة على الغالب تتصف بالبسالة والإقدام على المخاطر والفروسية والثبات عند البأس ، والإقبال على الردى مع الحكمة والبصيرة النفاذة ، ولكي تكون جديرا بالحياة ، لابد أن تكون شجاعا وهذا حتما أن تكون متفوقا ، ولا سبيل إلى التفوق إلا القوة القعساء ، ومضاء العزيمة مع الحكمة . ألا يذكرنا هذا في تقويم الحياة بعنترة شاعر الفروسية وعاشق الحرية،ذلك الفتى الباحث عن الحياة المثالية في مجتمع لا يعترف إلا لحد السيوف وقوة الساعد

وقد إرتبطت معاني الشجاعة ، في الشعر الجاهلي بصورة أسطورية ، وهي الصورة التي تكون في مجملها ترمز إلى الإله أو الثور الوحشي أو القمر أو الحيوان المفترس ،حيث نجد أن الشعراء جسدوا فكرة القوة ، والرجل المثال ، أي البطل وهو الرمز لصورة الإله العظيم وذ : {إن موقف الرجل المثال في الحرب ، وهو الرمز لصورة الإله ود المحارب }ودّ هذا كما عرف رجل عظيم يحمل سيف وحربة فيها لواة ، وفضة فيها نبل [1] .

فنلاحظ هذه الصورة البارزة في شعر عنترة ، يقول :

فَتَى يَخُضُ غِمَارَ الحَرْبِ مُبْتَسِمًا وَيُثْنِي وَسِنَانَ الُرمْحِ مُخَضّـبُ
إنَّ تَسَلَّ صَارِمَهُ سَالَتْ مَضَارِبُهُ وَأَشْرَقَ الجَوّ وَإنْشَقَّتْ لَهُ الحُجَبُ[2]

---

1- علي بطل ، الصورة في الشعر العربي ، ص 187 .

2- عنترة ، ديوان شعره ، ص 11 .

فهو يفتخر بنفسه ، حيث الغمرة تملئ وجهه حين يتوجه إلى الحرب ، فهو مدمج برنح مخضب ، وسيف شديد اللمعان ، فهو يمثل صورة الإله ود ، فهو رمز للشجاعة لا يهاب الحرب و مهالكها ، ويكثر عنترة من التلويح بفرديته ، فالمدجج الذي خاف الكماة نزاله ينبري له عنترة بمفرده ، وكذلك في ساحة الهيجا وحومت الموت واحتدام الصراخ تحتمي الجماعة بالفرد وهو عنترة . يقول

إِذَا يَتَّقُنَ بِي الأَسِّنَةَ لَمْ أَخِـــمْ          عَنْهَا وَلَكِنهَا تُضَايِقُ مُقْدِمِي[1]

أما الصورة الثانية التي ترمزإلى الشجاعة هي تلك التي تعكس روح الصبر في أوساط الحرب ، ويكون البطل أشبه بالثور الوحشي في معاناته مع الكلاب التي تقطعه وتنهش من جسده وهو صابر لأذائها تتجلد :{ وقد تقترن الشجاعة بمحنة البطل في الحرب وهي محنة الثور الوحشي عندما تصيبه الكلاب فتنال من جسده}[2] ،فهذه الصورة جلية في قول عنترة :

وَلَقَدْ ذَ كَرْتُكِ والرِّمَاحُ نَوَاهِلُ          مِنِّيْ وبَيْضُ الهِنْدِ تَقْطرُ مِنْ دَمِيْ[3]

فكان عنترة صابرا متجلدا وهو في غمرة الرحى، بالرغم من طعنات السيوف إلا أنه لم تمنعه تلك الضربات من أن يتذكر محبوبته فمن أجلها يحارب ولأجلها ينتصر ويعود سالما .

ونستطيع أن نلمس صورة الشجاعة المختلفة التي تتوارد في شعر عنترة في جل قصائده ، كما تتوارد المعاني الخلقية في شعره كلما سمحت له الفرصة ، وإذا كانت الفروسية والرجولة جزءا من البطولة فإن البطل الكريم من صبر ، وأنجد وكرم ،وعفى .

---

1- عنترة ، ديوان شعره ، ص 126 .

2- علي بطل ، الصورة في الشعر العربي ، ص 187 .

3- عنترة ، ديوان شعره ، ص 123 .

فعنترة كان يتمتع باستعداد نفسي تام استطاع أن يحمل فكرة الأخلاق الكريمة مع البطولة والمثالية والصورة الثالثة التي ترمز غلى الرجل المثال في الشجاعة هي صورة القمر.

وفي هذا الصدد يقول الأعشى :

مُنِيْرَ تَحسُرُ الْغَمَراتُ عَنْهُ     وَيَجْلُو ضَوْءَ غُرَتِهِ الظَلامَا[1]

فهو يعكس صورة الضوء في الليلة الظلماء منير وبذلك هذا الضوء يجلو الظلام ، فهي صورة القمر الذي يضئ الظلام بنوره :{ وهو منير يجلو عرته الظلام ،لأنه بديل عن الإله القمر}[2] .

كما تبدو صورة الحيوان القوي المفترس الرامزة غلى الشجاعة والقوة في قول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ الْسَلاَحَ مُقَذَفٌ     لَهْ لَبِدٌ أَظَفَارُه لَمْ تُقَلَّمِ[3]

فهذه الصورة واضحة حيث أن ممدوح زهير كالأسد في قوته وشجاعته ،كما نلاحظ في دائرة الفعل البطولي والشجاعة قد نال حظا وفيرا من الشعر الجاهلي ، فنجد في المقدمة الشعراء الصعاليك وشعراء الحماسة تفردوا بالعمل البطولي والحديث عن الشجاعة غير محدود وصورة الرجل المثال في الشعر ظلت مجازا حيا واقعيا .

---

1- الأعشى ميمون ، ديوان شعره ، ص 192 .

2- علي بطل ، الصورة في الشعر العربي ، ص 189 .

3- زهير ، ديوان شعره، ص 187 .

**الصبر :**

يقال الصبر صبران ، صبر عما تكره ، وصبر عما تحب ، بهذين المعنين وردت هذه اللفظة في خطرات الشعراء العرب ، فمجدوا الصبر وحثو ا على التشبث به. والصبر هو مفتاح الفرج يقول أمية بن الصلت :

أَصْبِرْ الْنفسَ عِنْدَ كُلِ مُلِمٍ     إنَّ فِيْ الًّصْبْرَ حِيْلَةَ الْمُحْتَالِ
لاَ تضْيِّقَنَ بالأُمُوْرِ فَقَد يكشِف     غَمَــاؤُهَا بِغَيْرِ احْتيـالِ
رُبَّما تَجْزَعُ الْنُفُوسُ مِنَ الأَمْرِ     لَهُ فُرْجَـــةُ كَحَلِ العُقَـالِ[1]

فقد علم الشاعر بالاختيار ان الصبر على الشدة لابد أن يقود إلي الفرج ، وهو بذلك يدعو إلى التسلح بالصبر لأن فيه النجاة واتخاذ الصبر هو درع لزوال النكبة والشدة فالبطل من يرى أن السبيل إلى العزاء ، والصبرلأنه خير عوض على المكاره ، وأبقى وأحزم من الوقوع في الخطأ ، يقول النابغة بن جعدة :

خَلِيلِي عُوَجا سَاعَةُ وتَهَجّرَا     وَلَوماَ عَلَى مَا أحدَثَ الدَّهرَ أَوذَرَا
وَإِن جاءَ أمرُ لا تُطِيقانِ دفِعه     فَلاَ تَجْزَعَا مما قَضَى اللهُ واصْبِرَا[2]

---

[1] – أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، ص 87 .

[2] –أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ،دار بيروت للطباعة والنشر ، 1984 ، ص 275 .

فالحكمة هنا تفرض على العقل لزوم الصبر، حيث يتعذر عليه رفع الشدة.

يقول الحطيئة :

فَتَى غَيْرُ مِفْراحٍ إِذاَ الْخَيْرُ مَسَهُ        وَمِنْ نَكَباتِ الدَّهْرِ غَيرَ جَزُوعٌ [1]

فالإنسان حيث يواجه حوادث الحياة مهما كان نوعها ، لابد من أن يتصدى بهدوء ورزانة ، فلا يستخفه الفرح ولا يقتله القرح ، والصبر هو التملص من الذائقة والشدة والصبر هو سبيل الظفر، وبه يستطيع الفرد أن يتفوق. يقول الأعشى :

كُنتُمْ تَمْنُونَ حَرِبِي غيرَ ظاَلِمكَمَ        فلآن شَبَتِ بِجَزْلٍ فَهِيَ لا تَستَعرُ

لا صُلحَ بَيْنَكُم مَا دُمتُ ذاَ فَرَسٍ        يَعْدو، وَلَمْ يُلْهِنِي سُقُم وَلاَكِبَرُ

صَبْرا عَلَى مضَضٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ        فَإِنَّ الصَبْرَ يُرْجَى الفَوزَ و الظَفَرُ [2]

فقد عقد الأعشى النية على الصمود على للأعداء واحتمال تعدياتهم ، مادام معافى ، يقوي على الكر والفر ، وذلك اعتقادا منه أن الصبر لا بد من أن قيود إلى الظفر بالأعداء .

ويقول دريد بن الصمة :

قَلِيلُ التَشَكِيْ للمُصِيباتِ حافِظُ        منَ اليَوم أَعقَابُ الأحَاديثِ فيْ غَدِ [3]

---

[1] الحطيئة ، ديوان شعره ، تحقيق : يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 ، ص 12 .

[2] الأعشي ميمون ، ديوان شعره ، ص 74 .

[3] أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، ص 212 .

هذا البيت من قصيدة رثى بها دريد أخو عبد الله فأتى بذكر الخصال التي كان يتمتع بها هذا الرجل ، إذ كان صبورا على المصيبات لا يتألم مع النوائب التي تترتل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعال من أحاديث الناس من بعده.

## الحزم :

الحزم هو ضبط الأمر والأخذ فيه بثقة ، وهو حسب الاستعمال، استعمال الشدة فيما يقتضي الشدة ، واللين حيث يحسن اللين، وبالحزم تتأصل الإرادة القعساء والقوة والسيادة ، وروح الشخصية والعزم والصدق والقصد أي الحسم في إرادة الفعل مع النية الخالصة لتحقيقه ومطابقة القول الفعل هو أساس الحزم ، فأوضح ذلك تأبط شرا :

وَكُنْتُ إذا هَممتُ واعتزمتُ وأحِرُ إذا قُلتُ أَن أفعَـــلاَ[1]

ويقول أيضا :

إِذَا المرءُ لم يَحْتَلْ وَقَدْ جَدّ جِدَّهُ أَضَاعَ وقَاسَى أَمْرُهُ وهُوَ مُدْبِرٌ
ولَكِنِ أَخُو الحَزْمِ الذيْ لَيسَ نَازِلاً بِهِ الخَطْبُ وهُو للْقَصدِ مبْصِرٌ[2]

فهو يشير إلى حاجة الرجل في الحزم ومضائه فيه ، وإن كان حائر الحزم قهره الدهر ونكل به ، وأن الحازم لا تترتل به الخطوب لأنه عارف بقصده وعزيمته لا يشك فيهما ويقول المثقب العبدي :

لاَ تَقُــوْلَنَ إذاَ لَــمْ تُرْدَ أَنْ تَتِم الوعْدَ فيْ شَيْءٍ نَعَمْ
حُسْنُ القَوْلِ نَعَمْ مِنْ بَعْـدِ لاَ وَقُبَيْحَ قَـولاُ لاَ بَعْدَ نَعَـم
إِنَّ لاَ بَعـدَ نَـعَمْ فَأَحِـشَةُ فَبِـلاَ فَابْدأْ إذَا خَضَتَ الْنَدمْ[3]

---

[1] الفضل الضبي ، المفضليات ، ص 20 .

[2] أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، ص 67 .

[3] الفضل الضبي ، المفضليات ، ص 166 .

يحدثنا المثقب عن أمر مهم ألا وهو أخذ القرار الصائب بتريث قبل العزم في أمر، لأنه يجب على المرء أن يكون حازما من بعد القول ، وأن يكون عارفا بالأمور ليتبين صحيحها من فاسدها قبل الإقدام عليها .

كما نلاحظ قول الخنساء التي تحدثت عن أخيها ضخرا ،فكان حازما في الأمور يقول :

وَمَا الحَزْمُ فِي العِزَاءِ وَالجُودِ وَالنَدَى غُدَاةُ يَرَى خَلْفَ اليَسَارَةِ وَالعُسْرِ [1]

فكان حارما شديد الأخذ في الأمور بعزيمة وصواب دون أي عناء أو عسر .

وفي الأخير يمكن القول أن ما ذكر سابقا يعد غيضا من فيض ، لأن الترعة الأخلاقية هي كل ما يمت صلة بالإنسانية ، التي تعمل على إبقاء المآثر الحسنة في أوساط مجتمع لايحتكم إلا لحد السيوف ، ولكن مع ذلك فهذا الشعب النبيل بدلا من أن يحمله الحرص على نفسه من أجل البقاء دعته سماحته إلى التحلي بصفات أخلاقية من كرم و شجاعة وتضحية وحكمة ،وروح إنسانية ،وأبى الإنسان الجاهلي إلا أن يكون و الغير موجودين :{بالشجاعة تتغلب البسالة و الإقدام على المخاطر و البطش و الفروسية و الثبات عند الإقبال على الردى،وإلى النبل ينتمى السمو و الشمم و النفور من مذمات الأفعال و التطلع إلى المجد ، وفي العفة يتراءى الحياء وغض البصر والانصراف عن الفحشاء ، ومع الحكمة تكون الرزانة والبصيرة النفاذة ، ويكون التعقل والإبتعاد عن الطيش وتتجلى الروح الإنسانية في السماحة والكرم والنجدة ،وسعة الأخلاق و الإيثار وفي قوة الشخصية يتأصل الحزم و العزم و الإرادة القعساء و السيادة و المهابة } [2].

---

1- الخنساء ، ديوانها الشعري ، تحقيق عبد الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 42 .

2- أحمد محمد الخليل ، في النقد الجمالي ، ص .ص 82 – 83 .

ضف إلى هذا كله جمال الفن و قوة البيان فإليه ترجع البلاغة و البراعة في الإبداع الشعري .

فإن هذه الأهمية البالغة للأخلاق الفاضلة في المجتمع العربي الجاهلي تنبئ عن سيادة النظام الإنساني ، الذي آلف بين الفقر و الضعف و البطولة و السيادة و التفوق ، ولم تقتصر هذه النزعة الإنسانية في الشعر الجاهلي على التعاطف مع الإنسان فقط و إنما تعتده و بقوة للتعاطف مع الحيوان أيضا ، فقد صور المرقش الأبر على سبيل المثال تلك النزعة على نحو رائع في صورة الذئب ، الصورة التي يتجلى فيها النبل الإنساني نقيا .

يقول :

وَلَمَا أَضْأَ النَارَ عَنْدَ نُزولِنَا    عَرَانَا عَلَيْهَا أَطْلَسُ الَّوْنِ ، بَائِسِ
نَبَذْتُ إِلَيْهِ فَلَذَةً مِنْ ثُرَائِنَـا    حَيَانَا ومَا فَحْشِي عَلَى مَنْ أُجَالِسُ

فآبَ بِهَا جَذْلانُ يَنْفُضُ رَأْسَهُ    كَمَا آبَ بِالنَهْبِ الكُميُّ المخَالِصُ[1]

---

[1] مفضل الضبي ، المفضليات ، ص 129 .

# الفصل الثالث

## جمالية النص الأخلاقي في معلقة زهير

### تعريف زهير بن أبي سلمى

### النزعة الأخلاقية في معلقة زهير

### أثرها في بناء الصورة

## 1- تعريف زهير بن أبي سلمى :

ولد زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني المضري بالحاجر في نجد نحو سنة 520، أي بمنازل آل أمه بني عبد الله بن غطفان ، ونشأ وترعرع في غطفان بين أخوال أبيه بني مرة الذبيانيين.

وكان فيهم شاعر مجيد وسيد ثري اسمه بشامة بن الغدير ورث عنه الشعر والخلق الكريم ، وينتمي زهير إلى أسرة شاعره ، فأبوه — ثم زوج أمه أوس بن حجر — وخاله بشامة وأختاه سلمى والخنساء كلهم شعراء ، واستمر الشعر في بيته أجيالا عن طريق ابنيه كعب وبجير وأحفاده عقبة والعوام .

وفي أخباره أن زهير تزوج مرتين : الأولى بأم أوفى المرية التي مات أولادها جميعا فطلقها بعدما صارت معيشتها منغصة ، والثانية بكبشة بنت عمار الغطفانية التي أنجبت له كعبا وبجيرا وسالما ، وتوفي سالم في حياة الشاعر فرثاه ببعض شعره ،واغلب ما في شعر زهير المديح ، والوصف والحكمة ، وقد عده ابن سلام من الطبقة الأولى وأحد الثلاثة المقدمين ، وكان عمر بن الخطاب يقدمه على سواه لقول عبد الله بن عباس : { قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرانكم ، قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير وكان كذلك ، قال :كان لا يعاظل بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه } ،وهو من عبيد الشعر أي بطيء في قوله ، مترو وكثير التنقيح كما فال الأصمعي : { زهير والخطينة وأشباههما عبيد الشعر أي لأنهم نقحوه ولم يذهبوا بهم دهب المطبوعين ، قال : وكان زهير يسمي كبرى قصائده الحوليات }،والحوليات هي قصائد كان الشاعر يقضي حولا كاملا في نظمها وتثقيفها قبل أن يعرضها على الناس، وبفضل هده المعلقة الرائعة اكتسب صاحب{من ... ومن }، ما لم يكتسبه غيره من المجد والشهرة ، ولأنه ظهر ، وأيام الجاهلين لا تكاد تنتهي،بوجه مغاير لمعاصريه وفي صورة رجل التعقل ، والرصانة ، والإصلاح والحكمة ، وشعره كان مثل نفسيته مرآة للحق ، والخير والجمال ، ولذلك تفاني في صنعه ، معتمدا على الجهد والمهارة الفنية ، ليخرجه في أكمل صورة وأجمل هيأة وكأنه درر من الجواهر وقلائد من عقيان[1]

---

1- دراقي زبير ، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي ،ص. ص 145 – 147 .

## 2- النزعة الأخلاقية :

لقد ترك زهير ثروة ضخمة من القصائد والأراجيز كما استطاع أن يتبوأ مكانة بارزة بين معاصريه، واعتبر من فحولا لشعراء ،وقد عاش في جاهليته ربيب الصحراء ،فاكتسب منها الخشونة والصلابة ومني قرأ شعر زهير يجد في لفظه وغوثه معاني وصور موغلة بالبداوة مستمدة من ظواهر الحياة ،وأسلوبه مائلة في القوة وأحكام النسج ورزانة التعبير، كما جاءت لغته بسيطة تخبر عن البيئة التي عاش فيها فعبرت عن مشاعرها الفياضة وعن تجربته في الحياة وعن ارتقائه وسموه عن اللهو والعبث، واستطاع أن يمثل دوق البادية وأصحاب النزعة الإنسانية بما طاب من الحكم والنصائح، وهذه النزعة التي تناولها زهير في شعره هي المثل الكريمة ،والأخلاق الفاضلة وما أكثرها تشعبا في معلقته المشهورة، لقد أدرج النقاد معلقة زهير من المعلقات السبع التي أودعها الشاعر بمقومات النجاح والتفوق نتيجة خبرته بالحياة ،فقد صاغها بقوالب لفظية استمدت قوتها وصلابتها وغرابتها من حياة الصحراء المحيطة به، وقد تضمنت هده القصيدة الكثير من معاني الأدب والحكمة ما يلائم العصر الذي قيلت فيه ولا يكاد يجتمع في المعلقات والشعر عامة ما يجتمع لزهير في المعلقة وشعره عامة: [1]{الشاعر عضو في الجماعة الإنسانية وله رسالة سامية يبلغ بجمال فنه ومعانيه من بهجة النفوس وإرهاف العواطف ولكن من الخير أن يجتمع جمال الفن إلى جمال الغاية, فيستطيع الشاعر أن يضيف إلى رسالته الأدبية رسالة الإصلاح وهذا قلما يتأتى لشاعر يعتمد أحكام العقل والمنطق فينصرف إلى سن القوانين الخلقية وضربا لا مثال فتغلب عليه صفة المعلم الاجتماعي

---

[1] بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ، ص 132 .

لأن طريق الشعر عنده في تطهير الأخلاق غير طريق الوعظ والخطابة}[1]، فكان المعلم حقا وبهذا نرى زهير قد نظم معلقته بسبب إعجابه الشديد برجلين وقفا كالطور الشامخ ف يوجه المتحاربين من عبس وذبيان, وتحملا ديات القتلى, وعملا على إحلال السلم والوئام بدلا من الحرب والخصام , ولينفر المتحاربين من ويلات الحرب وعواقبه ويصب غضبه على من أشعل فتيل المعارك أو نقض الصلح بين القبيلتين . ضف إلى هذه المناسبة الجادة في نظم المعلقة ما عرف به زهير من الوقار والاعتدال بين الناس قولا وفعلا, وابتعاده عن الاغراء في الشهوات والنزوات التي كانت طاغية حينئذ ومعهذا سنقف على المعاني التي ارتبطت بالأخلاق والحكمة , ولنتدبر كلمات حمل من الصور التي لها صلة بالنزعة الإنسانية. .

إن زهير من أبرز الشعراء الذين خبروا الحياة حلوها ومرها وصدروا عن تجربة عميقة , فكشفوا لنا عن جوانب متعددة في نظرة الإنسان العربي إزاء ما يحيط به من أشياء, بل إن القدر أمهله ليعيش فيه ردحا من الزمن , استطاع من خلاله مواكبة العصر الذي يعيش فيه ,فافرغ تجربته الشعرية في قوالب ومعان تعكس تأثره بالحياة ,ومن خلال ذلك نستطيع أن نلمح المعاني الخلقية المختلفة التي تتوارد في معلقته..وبداية مع الحكمة التي يكون صدورها عن إنسان طويل التجربة , عارف بالحياة وزهير من كان له الحظ الأكبر فيذلك المضمار يقول:

سَئِمتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِش    ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ [2]

---

1- بطرس البستاني ، أدباء العرب لجاهلية والإسلام ، ص 132 .

2- الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، دار الأفاق ، الأبيار –الجزائر ، ( د ت ) ، ص 65 .

فهو نهل من الحياة حتى سئم منها ونال منها واختبرها فجاءت حكمة تعبر عن مدى معرفته بالحياة محاسن هو مساوئها , وكثيرا ما اظهر الشاعر في البيت الواحد شحنة هائلة من المعاني التي تدل على قوة بصيرته , وقد أحسن الشاعر اختيار الظروف المناسب , وأخذ يجزي هذه الحكم البالغة:

سَئِمتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِش          ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبا لَك يَسْأم
وَأَعلَم مَافي اليَوم والأمسِ قَبْلَهُ          وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا في غَدٍ عَم
رَأيْتُ المنايَا خَبْطَ عَشْواءٍ مَن تُصِبْ          تُمِتْهُ ومَن تُخْطئ يُعمَر فَيِهْرِم
وَمَن لا يُصَانِعْ في أمُورٍ كَثيرَةٍ          يُضَرَّس بِأَنْيَابِ وَيُوطَّأَب مَنْسَم
وَمَن يَجْعَلْ المعْرُوفَ من دون          عرضه يَفِرْهُ وَمَن لَا يَتَقِ الشَّتْمَ يُشْتِم
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ          عَلى قَوْمِه يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَم
ومَن يوفِ لا يذمم ومن يُهد قَلبُهُ          إلى مُطْمَئنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمْ
وَمن هَابَ أَسْبابَ المنَايا يَنَلنـهُ          وإنْ يرق أسْبَابَ السماءِ بسُلم
وَمَن يَجْعل المعْروفَ في غيرَ أهْلِهِ          يَكُنْ حمْدُهُ ذَمًّا عَلَيْهِ وَيُنْدَمِ
وَمنْ يَعْصِ أطرافَ الزُجَاج فإنه          يُطيعُ العَوالي رُكِّبَتْ كُلَّ لهذم
ومن لم يذد عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ          يُهْدَمَ وَمَنْ لاَ يَضْلِمَ النَاسَ يُضْلَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوا صَدِ يقَه          وَ مَنْ لا يُكَرَمْ نَفْسَه لا يُكَرَمِ
وَمَهْما تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلقَةٍ          وَإنْ خَالَهَا تَخْفَىَ عَلىَ النَّاس تُعْلَمُ[1]

---

[1] الزوزني ،شرح المعلقات ، ص. ص 65 – 66 .

وكائن ترى من صامت لك معجب زايدته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبقى الا صورة اللحم والدم
وإن سفاه الشيخ لاحلم بعده وان الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن يكثر التسآل يوم سيحرم [1]

كان غرض زهير في هده الأبيات واضح المعاني لا لبس ولا غموض فيه ،بل هو صفاء وجلاء مقصد ،يقيد العقل فلا صورة تخبو ولا التعبير يخون ،مثل الحكمة والروية والرزانة ،فهو يعد قاض يصلح بين المتخاصمين ، وحكيم يرشد الناس ويهديهم ، حيث تمثلت رسالته الإصلاحية في النزعة الإنسانية فتلاقي الخلق والفن في لوحة رائعة برز فيها الوجدان الخالص بقوة .

أجتزئ هذا المقام من معلقة زهير الشهيرة التي خص معظمها في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف ، وقد أنهى معلقته بأبيات حكمية مأثورة ،عقب بها على تلك الأحداث ناضرا إلى الحياة نضرة شمولية ، فاستلهمها بسأمه وملله من مشاق الحياة وشدائدها ،ومن بلغ من الكبر عتيا مل لا محالة ،ثم اتبعها بعلمه بما ما مضى وما حضر ،ولكنه جهل عن الإحاطة لما هو منتظر ومتوقع ،وعرج بعد ذلك على الموت ورأى المنايا تصيب الناس على غير هدى كمثل الناقة التي تطأ على غير بصيرة ، ويقول من أصابته الموت فقد هلك ، ومن أخطأته بلغ الكبر وهرم .

ثم يتجه في حديثه عن التصرف الإنساني فدع إلى المصانعة أو مسايرة الناس على ما يذهبون إليه ، وان لم يفعل الإنسان دلك اضطهد ونبذ وأصابه الهلاك ،ومن جعل المعروف واقيا عرضه وفر مكارمه

---

1- الزوزني ، شرح المعلقات ، ص 67 .

ومن لا يتق شتم الناس إياه يشتم، ومن كان ذا فضل وبخلبه، استغني عنه وذم، ثم يشيد بأصحاب الوفاء، فمن أوفى بعهده لم يلحقه ذم ومن هدي قلبه إلى بر يطمئن إلى حسنة، ويعدد بعد ذلك إلى المعروف ويوصى بأن يودع في أهله وإن لم يفعل بذلك يثاب صاحبه بالجحود والنكران، ثم يشيد بالقوة في الدفاع عن النفس،فه يتمنع صاحبها عن الهوان والذل، ومن لا يكرم نفسه لا يكرم وأهين، إما من يضمر شيء ولم يعالن به سواه كشف وعلى ولم يخف، فالمرء يبوح بحقيقته عبّر كلامه بما يدل على قلبه،وكما يقال المرء بأصغريه قلبه ولسانه،ثم يستدرك الشاعر فيقول : إذا كان الشيخ سفيهًا لم يرج حلمه،لأن لا حلم بعد الشيب إلا الموت، والفتى وإن أخذه الطيش والجهل وتسافه فإنه سوف يعف ويصبح حليمًا ويزداد وقارًا، تلك هي حك زهير،يقول نيكولسون {إنها حكم توائم عصره وبيئته كل المواءمة}، غير أني أراها تصلح لكل زمان ومكان ويمكن أن تكون قانونًا من قوانين الحياة التي يعيشها الإنسان[1] ،ولم يقتصر حديث زهير في معلقته عن الحكمة فقط، بل صاغ أبياتاً تدل على الشجاعة وخصوصًا تلك التي يمدح فيها ممدوحة، فالشجاعة من البديهيات حيث أن العربي كان يعيش في خضم الصحراء الواسعة، تحفه المخاطر من كل جانب، فكان لابد عليه أن يكون شجاعًا لردع الأعداء، كما عرف هذا الأخير مدى تمرسه بأساليب القتال،مما جعل قلبه ينبض بالجرأة والإقدام ولزهير رأي حكيم في ذالك يقول :

وَمَنْ لاَ يَذُد عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِه        يُهْدَّم وَمَنْ لاَ يَظْلِمُ النَّاس يُظْلَمُ

---

[1] – عبد الحميد سيد الجندي ،زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في الجاهلية،مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،مصر ،(د ت) ، ص 252

فهو يرى ان الشجاعة شرط في الحفاظ على البقاء، والظلم لا يدفع إلا بمثله، ومن لا يدفع عن قومه الشر انتهكت حرمته وأذل،يقول:

لَدَى أَسَدشَاكي السَّلاحُ مُقْذَفٍ          لَه لبَدُ أَضْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّم
جَرِيءٌ مَتَى يُظْلَم يُعَاقِبْ بظُلْمِهِ          سَرِيْعَا وإلاَ يُبْدَى بِالظُّلِم يَظْلِم

فهو يظهر قوة ممدوحه وصلابته وهو جرئ شجاع يأبى الظلم عن نفسه، كما ارتبطت فكرة النزعة الخلقية بإباء الضيم، فالعربي بطبيعة الحالي أبى الضيم ولا يقيم على الذل، فلا يظهر غير ما يبطن، وإنما يصل من وصله ويقطع من قطعه بلا خوف أو وجل وفي هذا الصدد يقول زهير :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَب عَدُوًا صَدِيْقَهُ          ومَن لاَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّم[1]

فهذه الحكمة التي تدفع إلى التحلي بالإباء وعزة النفس والكرامة، وهي شرط في دفع الناس إلى إكرامه له ،ومن لا يقصر نفسه إلى الأمور التي تؤدي إلى استخفاف به وأهين .

وأخيرا فإن طبيعة زهير وحفظه للفضائل نصبا قاطعا وحكما يعمد إلى النصح والإرشاد فأتى بالحكمة المترجمة لعقيدته ومذهبه في الحياة،فجل منه دستورا مفصلا لتهذيب النفس :{من قيمه الإنسانية حبه للأخلاق الفاضلة ميالا إلى الجد والحكمة محبا للسلم والخير ، وقد تميز الشاعر عن أهله الجاهلية بعزوفه عن الفخر والتفاخر بل كان أقرب إلى التواضع والواقعية ،وهو بذلك صورة ناصعة للإنسان العربي في كرمه وأخلاقه الفاضلة }[2] .

---

1- الزوزني ، شرح المعلقات ، ص. ص 63 – 66 .

2-زكريا صيان ،دراسة في الشعر الجاهلي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط2، 1993، ص307 .

وكل ذلك نابغ من شخصيته الوقورة الهادئة وخبرته الواسعة و غيرته على السـلام، فهي عبرة ودرس، إذا عالج الأمور غلى مستوى الفرد من حيث الخلق و الصدق و التسامح ثم على مستوى المجتمع حيث الارتفاع بالسياسة عن الأمور التافهة من أجل الحفاظ على العلاقات الإنسانية بشرف وأمانة :[جاءت تجربته الشعرية متكاملة تشع بكل معاني الأخلاق الفاضلة وجماليتها النفسية والاجتماعية] [1] ،وهذا ما جعل عمر بن الخطاب ــرضي الله عنه ــ يعترف بنفاذ بصيرته.

قال عمر بن الخطاب {لو أدركت لوليته القضاء لحسن معرفته ودقة حكمه} [2] .

هذا هو زهير الشاع الفحل المفكر الحكيم الذي نهل من كؤوس المعرفة على اختلاف ألوانها،فهو صوت الحدس والعقل والتحليل والتركيب الناتج عن التجربة والخبرة .

---

1- الشرقاوي، دروس ونصوص في قضايا الشعر الجاهلي، دار النهضة العربية، مصر ، 1979 ، ص 333 .

2- العسكري ، الصناعتين ، تحقيق : على البجاوي ، دار الشروق ، القاهرة، 1971،ص 342 .

## 3- أثرها في بناء الصورة :

### أ-اللغة:

عرف زهير في الشعر العرب بأنه من أصحاب الحوليات, وأنه من عبيد الشعر لا يقبل فيه على البداهة , بل يحككه ويقيم على تثقيف القصيدة الواحدة حول كاملا ,وقد كان من جراء ذلك أنه توازن في شعره العقل والانفعال ,يرنو إلى معاني الحياة ومظاهرها بدقة ثابتة وهادئة وبصيرة نفاذة, كما أنه أقام علاقة وطيدة بين اللفظ والمعنى لا يغلب أحدهما على الأخر:[كانت الصنعة مذهبا عاما بين الشعراء ولعل خير الشاعر يمثل هذا المذهب ويفسره في العصر الجاهلي هو زهير صاحب الحوليات ،فقد كان يأخذ شعره بالتنقيح والعقل].

وتتجسد آليات الصورة الفنية من خلال هذا المنهج الفكري الذي اتبعه زهير ويتسع مدلول الصورة في معلقته ليشمل الألفاظ والمعاني معا , والتشبيه والكناية والاستعارة والأسلوب الذي يكون العاطفة ويصورها:{إن الشعراء يؤلفه الصورة عامة من التشبيهات وأحيانا من الاستعارات والكنايات ويصفونها فيها الحس الأخلاقي أو جمال المرأة أو يمتد جوانبها الملوك....} ،وسنزيد هذه الفكرة تفصيلا وإيضاحا فيما سيرد لاحقا، كما امتاز شعر زهير بلغة خاصة توافرت لها قيم صوتية وفنية ومتميزة، وقد كانت لهذه اللغة الشعرية في صفائحها واكتمالها الفني مصدرا هاما للقواعد النحوية والصرفية والبلاغية، كما كانت لمعلقته وصوره البيانية وقيمها الفنية سلطانا على النقاد , ونودوا أن

---

1- شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه ، مكتبة النهضة العربية ، مصر ، ط1 ،(د.ت ) ص204

2- خالد زواوي ، تطور الصور في الشعر الجاهلي ، مؤسسة حورس الدولية ،الإسكندرية ،ط1 ،(د ت) ،ص23

نقف في هذه اللغة الشعرية وجمالية صورها في معلقة زهير عند خصائص اللفظ والعبارات والأسلوب

## 1- الألفاظ :

اللغة عنصر من عناصر الشعر المهمة، إذ تتوقف القيمة الشعرية على نسق ألفاظها، وعلى ما يحدثه هذا النسق من تصوير وإيقاع، وهي موسيقى الشاعر وألوانه وهي فكره والمادة الخام التي سوى منها كائنا ذا ملامح وسمات، كائنا ذا نبض وحركة وحياة، كائن ذا صوتي حمل صورة نابضة لمثال بارع،{كذلك اللغة في يد الشاعر قادرة على أن تحمل صورة نابضة حية}[1] . والعمل الأدبي بصفته تشكيلا جماليا هو بنية تتكون من مجموعة العناصر اللغوية ،أهمها الكلمات(الألفاظ) .والأساليب اللغوية في الشعر بصفته جنسا أدبيًا، فيعتمد المبدع فيه جملةً من احتمالات الـقوة، وعليه أن ينتمي من هذه الاحتمالات، أوفرها دقة وأكثرها موائمة للسياق ولبنية عمل المبدع ،والاعتناء بالألفاظ هو الخطوة الأولى التي تحقق الجودة في التعبير والارتقاء بالمعنى، وهي في الشعر لها دور غير دورها في النثر،لأن قدرة اللفظة في الشعر تكمن في تفجير المعاني وإثارة الوجدان[2] .

واللغة عند زهير تستدعي الآراء السابقة، بخاصة على تنازل ألفاظ الشاعر ضمن البناء التركيبي والسياق المعنوي الذي وردت فيه، ودراسة اللغة من خلال النضال أخلاقي في المعلقة، أو الحكم بطبيعة الحال، قد يستوقفنا عند خصائص الألفاظ وبداية من ظاهرة السهولة ،فالشاعر قد ارتكز في جل معجمها للغوي على ألفاظ سهلة، مأنوسة مؤدية للمعاني في يسرو بعض من التكلف حيث

---

[1] 1- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين الحديث والقديم ، دار النهضة ،بيروت، 1979 ،ص 133 .

[2] 2-فتوح أحمد ، شعر المتنبي قراءة أخرى ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، ( د ت )، ص 97 .

نجده لا يعاظل في الشعر ولا يتبع وحشية: { كان زهير على قسط وافر من الترفع والنبل، فلا يفحش ولا يقذع في هجاء.ولا يتعهر في نسب}[1] وربما كانت السهولة في لغته مظهرًا من مظاهر التجدي يقول:

مَتَى تبْعَثُوهَا تَبْعثوهَا ذَميمَةً        وَتُضَرُ إِذَا ضَرَّيْتمُوهَا فَتُضْرَمْ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرُّحَى بِثِفَالِهَا        وَتُلَقَح كِشافًا ثُم تُنْتِجْ فَتُتْئِم

إن ألفاظ هذه الأبيات في الواقع سهلة بعيدة عن الخشونة، امتازت نوعا ما بالخيالية من إيحاء وحيوية فنية التي تجعلها طافحة بالحياة،حيث وظفها توظيفا معجميا، وجعلها إناء حاملاً لمعناها اللغوي والاصطلاحي، والشاعر في هذه الأبيات كشف عن عاطفتها لحزينة و المناهضة للحرب، وحاول أن ينقل تجربته في لغو سهلة موحية، وسأمه ومله من الحرب، وفجيعته بها في ما طرأ على الناس جله يذكر الحقيقة كما هي.

كما تجسدت اللغة الجازلة في أبيات معلقته التي تنقل آراءه وتأملاته في الحياة وعن تجربته، فكان شاعر الجمال في عباراته وصيغه و شاعر الحقيقة بحكمه و خواطره و شاعر الخير بدعوته إلى السلام يقول زهير :

وَمَنْ يَجْعَلْ المعْروفْ مِنْ دونِ عِرضِهِ        يَفِرُهُ ومَن لاَ يَتَقِ الشَّتمُ يُشْتَمِ
وَمَنْ يَجْعَل المعْروف فِي غَيْرِ أَهْلِـهِ        يَكُنْ حَمْدُه ذَمًّا عَلَيِهِ ويَنْدَمِ
ومَنْ لَمْ يَذُدْ عَن حَوضِهِ بِسِلاَحِـهِ        وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّماءِ بِسُلَـمِ[2]

---

[1] 1- زهير ، ديوان شعره ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط3، 2003 ، ص 09 .

[2] 2- المصدر نفسه ، ص . ص ، 107 – 111 .

كانت ألفاظ هذه الأبيات معبرة ،حيث نلاحظ صيغتها و تشكيلها الصحيحين قد ألما بالإيحاء ،حيث لا نلبث حتى نحس أن فيها أنفاسا تسري إلينا من ديننا الحنيف،والذي يمجد ويأمر بالإحسان والأخلاق النهي عن المنكر،اتقاءًا للفواحش .

وبناءا على ما تقدم نخلص إلى أنه ما تلك السمات اللغوية التي احتطنا بها سوى إلمامة بسيطة ببعض جوانب لغة المعلقة في ألفاظها , وما زال لغته في حاجة إلى دراسة أعمق و اوسع .

## 2- الأسلوب:

يمكن أن نستخلص من خلال معلقة زهير على مميزات الأسلوب الخاصة بالشاعر ,فهو أدب الروح و الوقار وجلال الحكماء ,فيه براعة التصوير وسهولة التعبير و الإبداع في اختيار أدوات الصورة وانتقاء الإيقاعات الموسيقية في كل بيت من الأبيات معلقته,وهو أسلوب فني راقي مثله مثل سائر الأساليب الشعرية،يقول إيلس لستن :[ يظهر الشعر العربي فنا متطورا ذا أسلوب خاص محدد في الشكل كما في المحتوى ] [1]،فهو يشير إلى الجوانب الأسلوبية التي تحدد المفهوم والمعنى وعلاقة الأبنية اللغوية فيما بينها.وقد تلازم الأسلوب بأنواع العبارات في معلقة زهير وهذا ما نلاحظه جليا من خلال حكمه فطبيعة عباراته جاءت محدودة عف الشاعر فيها عن الحشو،ووقعها توقيعا محكما وفقا للسياق المتداول ويبدو أن زهير يعتمد على جملة من الأساليب الخاصة التي نسرد منها ما يلي :

1-اعتماد الجمل الفعلية أكثر من اعتماد الجمل الاسمية حيث نلاحظ ذلك في قوله : (تدارا كتما عبسا و ذبيان )،ويسبح كنزا من المجد و يعظم ينجهما من ليس فيها بمجرم ينجهما قوم لقوم غرامة

---

[1] 1- بشير محمد الخطيب ،الرثاء في العصر الجاهلي ، مديرية المطبعة المحلية ،بغدا، (د ت) ، ص 337 .

فأصبح يجري فيهم من بلادكم، سئمت، ومن يعش يسأم، أعلم ما في اليوم ،رأيت المنايا، من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم، ومن لم يصانع ،يضرس ،يوطأ، يستغني ،يذم، من لم يذم يهدم... إلي غير ذلك من الجمل الفعلية

2- إسراف الشاعر صيغة الشرط وخاصة (من) حتي قيل أن الشاعر صاحب قصيدة (من ومن) فالشرط هو الصيغة البارزة في هذه القصيدة، طغى عاي جل الحكم الوارد فيها من بدايتها حتى نهايتها مخلفا فيها نوعا من التكرار في الألفاظ والعبارات ،وكان الشاعر يستهل الكثير من أبيات معلقتهب : من كفعل الشرط حتى يردف ذلك بجواب له في جملة تطول أو تقصر عبر إيقاع رائع متزن ومن تلك الصيغ مايلي :من يعش ثمانين حولا، لا أب لك يسأم [1]. اعترض بين فعل الشرط وجوابه بمفعول فيه، فهنا خرجت العبارة عن رتابتها، من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم، اقتصر على صيغة الشرط فقط. ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرّس بأنياب : وفي هذه العبارة اعترض جار ومجرور فخفف عن وطأة الصيغة الشرطية الواردة في معلقة زهير فيما يلي :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره.

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن ويذمم.

ومن لا يتق الشتم يشتم

من يوف لا يذمم.

---

[1] ليليا الحاوي ، في النقد والأدب – مقدمات جمالية عامة وقصائد محللة من العصر الجاهلي ، ط5 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1976 ،ج1 ،ص 204.

ومن لايكرم نفسه لايكرم.

إلى غير ذلك من الصيغ الشرطية ولو أن بعضها أخذ نوعا من الرتابة كما ورد في المثالين الأول والثالث

3- كما أن زهير اختص في أسلوبه بنوع من ضروب الإستنتاج البرهاني الذي لامناص منه وأخص به الفاء الإستنتاجية حيث يقول :ومن يخطئ يعمر فيهرم، فلم يبق إلا صورة اللحم و الدم، وقد انطوت أحيانا على معنى التدرج، حيث يقول : وتضر إذا أضريتموها، فتضرم، فتعرككم....[1]

وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم، فتغلل لكم....

4ـ أما عن سائر الأساليب نعثر على بعض الأدوات الاستدراكية كقوله :

لكنني عن علم مافي غد عم....

5ـ والاستفهامة كقوله :

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة ....

6- وعن الأساليب الإنشائية ، الاستفهام

هل أقسم كل مقسم

والنهي في قوله

فلا تكتمن اللّه ما في نفوسكم

---

[1] 1- ليليا الحاوي ،في النقد الأدبي ، ص207 .

7-أما عن الأساليب الخبرية فنجد منها ما ينطوي على الخبر الابتدائي كقوله:

وكائن ترى من صامت لك معجب

أما عن الخبر الطلبي فنجد في قوله :

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وإن يرق أسباب السماء بسلم

والخبر الإنكاري في قوله :

لعمري لنعم الحي جر عليهم

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا

### ب- عناصر الصورة في معلقة زهير :

لقد استخدم زهير طريقة التصوير في التعبير عن مواقفه اتجاه الحرب،وعن تأملاته الحكمية في إظهار محاسن ممدوحة،وجعله الأداة المفضلة في أسلوبه،فهو يعبر عن الصورة الحسية المتخلية و الحادث المحسوس، فوضع لهذا المنهج نوع من الانسجام الذي يربط بين الواقع والخيال و الفن ،واستخدام الصورة الموحية في أشكال جملية موصفة إياها بمقاييس التصوير الفني : {عناصر الصورة في المقياس التصويري :هي الإيحاء ، و التكامل ، والإطار}.

ثم يرتقي بالصورة ليمنحها الحيات الشاخصة ، أي التصوير بالحركة [1] .

---

1- صلاح عبد الفتاح ، نظرية التصوير عند السيد قطب ، شركة الشهاب ، الجزائر ،1982، ص 76 .

## 1- الصورة الإيحائية في معلقة زهير :

من المعروف أن بيئة الشاعر العربي القديم كانت تفرض حضورها المتراكم في شعره، ولذلك كان من الطبيعي أن تلقي هذه البيئة بظلالها الكثيفة على الصورة الفنية لديه . عند الشاعر . وهكذا جاءت الصورة الفنية في شعرنا العربي القديم مستمد . على الغالب . من الحواس أو بالأحرى معطيات الحواس بخاصة المرئي منها و المسموع فكما كانت ضربا من المحاكاة لعالم الواقع، ولقد جعله الصورة الحسية الصورة الفنية قريبة لمآخذ سهلة الإدراك، جزئية العلاقة فيما يربط بين الصورة التقليدية . المشبه والمشبه أو المستعار و المستعار منه، و الفكرة ما يكنى به عنها، لكن بعد أن بدأت هذه الجزئية تتبدد تدريجيا بزيادة الاهتمام بالتشبيه والاستعارة والكناية، بلغة البلاغيين القدماء . الأمر الذي سار بالصورة الفنية عن طريق مفهوم الصورة المركبة الذي عرفه الشعر الحديث، وبهذا تعد الحسية وصمة تلاحق الصورة الفنية القديمة وتثريها بالإيحاء حتى أصبحت قطعت ديكور تبدو قيمتها وجمالها في الإطار العام للعمل الفني :{التصوير في الأدب نتيجة لتعاون كل الحواس والشاعر المصور يربط بين الأشياء يثير العواطف و المعاني الفكرية}[1] .

ومهما يكن من الأمر فإن ما يهم هو تسليط بعض الضوء على الصور الحسية وعلى المادة التي أخذة منها، وعلى ما تقوم به من تركيب حواس، ولقد اخترت لذلك معلقة زهير بن أبي سلمى ، ذلك الشاعر الحكيم الذي عظمت أخبار شاعريته التي أذهلت القدماء و المحدثين على حد سواء، فاهتموا

---

1- مصطفي ناصف ،الصورة الأدبية ، دار الأندلس ،ط3 ، 1993 ، ص 08 .

بشعره وحاولوا بسر أغوار شاعريته وإحلاله المنزلة التي هو جدير بها،فإن أصالة الموهبة وامتلاك الأدوات وصدق العاطفة هي التي تبعث الحياة في الصور وتشحنها بالإيحاءات المقصودة،لنتوقف عند قول زهير :

وَكَائِنْ تَرَى مِن صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ        زِيادَتُهُ أَوْ نُقْصُهُ فِي التَكَلُّمِ

لسَانُ الفتَى نِصْفٌ و نِصْفٌ فُؤادُهُ        فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ صورَةَ اللَّحْمِ و الدَّمِّ[1]

إن زهير في معرض ذكر المظاهر التي لا تمثل حقيقة الإنسان بل ظاهره هو الزيف إن قصرت قيمته على كلامه أي على عقله،وثاقب نظره الى الأمورو حكمه في تقديرها فقيمة المرء في إنسانيته تتحدد بمظاهر القدرة على القول الصريح،كما أن اللسان ماهو إلا أداة فاعلة للبوح عن صبر الأغوار،وبذلك يربط حاسة السمع،التى تمكن في إظهار الوسائل التي تجذب الإنتباه،وإن لم يصرح الشاعر بذلك فحتما إذا كان الصمت من صفات المرء،فبطبيعة الحال لا تسمع، وبذلك هذه الصورة غنية عن ما نحن بصدده كم أنه يحدد قيمة المرء بعاملين هما لسانه و فؤاده أي كلامه و عاطفته وهما الينبوع الذي يفيض منه الكلام،ونجد مثل هذه الصورة الفنية مثل قوله:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثيرَةٍ        يُضَرَّسْ بِأَنْيابٍ وَ يُوطأْ بِمِنْسَمِ

يشير زهير إلى المصانعة وهي ضرب من اللين في الأخلاق يواسي به الآخرين ولا يقف في وجه أقوالهم وأفعالهم،بل تراه يوافق ويثني عليها فيما هو يضمر مخالفته،بل أنه قد يصمت عنه ولا يعارضه فيه وطلبا للطمأنينة والسلامة،والشاعر يدعو إلى المصانعة في أمور كثيرة لأن الحياة الاجتماعية كتمان ما

---

[1] الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص .ص 66- 67 .

يضمر،وننتضر إلى الصورة التي هي أكثر وضوحا فب المعلقة،حيث أن زهير يعبر عن فكرة وشتى معاني فكره بالمادية المحسوسة عن طريق التشبيه والتمثيل، فهو إن تقل مشهدا حاول تجسيمه وتصويره بحيث يمثل بواسنا المدركة :{الوسائل التى يجدل بها الأديب نقل فكره وعاطفته إلى قرائه وسامعيه،ومقياس الصورة هو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة، الصورة هي العبارة الخارجية العامة للحالة الداخلية،وهذا هو مقياسها الأصيل }[1] .

لقد عمد الشاعر إلى هذا النمط من التصوير الحسي الذي جعل منه أداة التعبير عن خوالج النفس وعواطف الفؤاد :{الصورة تستعمل عادة للدلالة على ماله صلة بالتعبير الحسي }.[2]

لكن هذا التصوير عنده ليس اندفاعا إلى المحسوس فقط،بل مقارنة بين مشهد داخلي وتجربة ذاتية من جهة ومشهد خارجي وحالة محسوسة من جهة أخرى . وتراه يصب صخطه على الحرب ومهالكها قائلا:

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمتُمْ وَذُقْتُمْ    وَمَا هُو عَنْها بالحَدِيثِ المرْجَمِ
مَتَى تَبْعَوثُها تَبْعَوثُها ذَميمَةً    وَتَضْرَ إذَا ضَرَّيْتُمُهاَ فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحى بِثِفَلِهَا    وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمَ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانًا أَشْأَمَ كُلُّهُمْ    كَأَحْمَرْعَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتُفْطَمِ

---

[1] العربي حسن درويش ، النقد الأدبي ومقاييسه واتجاهاته ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، مصر ، ( د ت) ، ص 196 .

[2] مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، ص 03 .

لقد جاءت طبيعة الصورة الفنبةلاتعقيد فيها ولئن وجدناه يقدم لنا هذه الصورة عن حرب وهي صورةمكبة حين يجعل الحرب هوة سحيقة لا تعبر إلا عن جسور من السيوف،فهو هنا يقوم بدور الناصح المرشد حيث أنه ينذر أهل القبيلتين المتخاصمتين بمهالك الحرب ،ويعمد إلى توضيف لفضة صريحة (المترجم) وهو التجربة ،فحديثه عن الحرب شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب ، فكما أنه يقوم على إثارت الرهيب في نفوس المتخاصمين،ويغير في عواطفهم إتجاه هذا العمل الشنيع ألا وهو الحرب،وقد نجد أحيانا يظهر عناءا كبيرا وإصرارا على مواقف إخلاقية لابد منها في الحياة الإنسان لنقرأ على سبيل المثال قوله:

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ     يُهَدَّمْ وَمَنْ لاَيظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحسِبْ عَدُّوا صَدِيقَهُ     وَمنْ لاَ يُكرِمْ نفْسَهُ لاَ يُكَرَّمِ[1]

وهو هنا يصر على أن الدفاع عن النفس بغية البقاء و التواصل إيمانا منه على البقاء للأقوى ويقرن الوجود بشرط وجود السلاح، كما يقرن الإباء وعز النفس بصون الإنسان لنفسه لعله يفوز باحترام الآخرين،وهذه الصورة تكاد تلم بالجانب المعنوي أكثر من أي شيء،فالشجاعة والعزة هما صفتان حميدتان وشرطان متلازمان يغنيان الإنسان عن لؤم الحياة وتعاستها وشقائها.

---

1- زهير ، ديوان شعره ،ص 82.

من المؤكد أن منبع جمال الصورة الفنية وإيحاءها بوجه عام، {لا يكون بما فيها من المجاز وإنما ينبغي جمالها من كونها صور فحسب }[1] .

ومن البديهي أن الشاعر الموهوب مثل زهير يمتلك العديد من وسائل التصوير التي تمكنه من الوصول إلى غايته وأعني صياغة الصورة المؤثرة المشعة بالإيحاءات .

إن الإيحاءات في الصورة ليست أمرا معابا على الإطلاق وخصوصا الحسية منها،إذ كثيرا ما يكون لها بعد جمالي متميز وخصوصا إذا كانت مرسومة بريشة فنان يمتلك التصرف في الصياغة كزهير

## 2- الصورة المكتملة :

إن قضية الصورة موكولة من الناحية الفنية إلى تمامها و اكتمالها ومدى تطورها حيث أن الشاعر لن يفزع من رصد صورة ما إلا حين يوفيها حقها،والتكامل هو القدرة على رسم الصورة، بكل جزئياتها الصغيرة و الكبيرة،حيث أن الشاعر أو الأديب يلم بكل جوانب الصورة،ويبعث فيها نوع من السرد، ولا يفلت من الصورة أي لمسة يمكن أن تكون لها قيمة في تعميق الموضوع واستكماله[2]

وقد استخدم زهير هذا النوع من التصوير الفني،فاهتم بالصورة،ولم يكن يفرغ منها بكتفيها من كل الجوانب وأعطى لها حقها في الإثراء،باستحضار جوانب مختلفة،وإيثار التعبير الرمزي فيها على التعبير المباشر،وقد أقف عن ظواهر هذا التصوير في شكلين مختلفين من الصورة المكتملة .

فقد تجلت الترعة الأخلاقية في صنعة زهير الشعرية في لوحة رائعة،يستمد مادتها من الواقع،ولكنه كان

---

1- علي البطل ، الصورة في الشعر العربي ، ص 30 .

2- صلاح عبد الفتاح ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص76

يؤلفها تأليفا عقليا فكان يصور المشهد بدقة ويصوره كاملا، ونتخير من هذه الصورة المكتملة ما يصف فيه الحرب وما تجره على أصحابها من الدمار، وهي صورة مخيفة شنيعة، قد اتخذت فيها هذه الحرب أشكالا مختلفة، تارة الأسد الضار، و تارة النر الملتهبة التي تاخذ بالأخضر و اليابس، وتارة بالرحى التي تطحن الناس كما يطحن القمح، وآخر الأمر ناقة مشؤومة، مثل ناقة عاد التي تلد الشؤوم من أولادها.

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَاعَلِمْتُم وذُقْتُم　　　وَمَا هُوعَنهَا بِالحَديثِ المرّ

مَتَى تبْعَثُوها تبعثُوثَا ذَميمةً　　　وَتَضْرَ إذَا أَضْرَيْتُموهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحى بِثِفَالِهَا　　　وَتَلْقَحَ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئَمْ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانْ أَشْأَمَ كُلَّهُمْ　　　كَأحْمَرِ عادِ ثُمَّ تُرْضَع فَتُفْطَمِ[1]

وقيمة هذه الصورة تتحقق في نفس قارئها أو المستمع إليها بم توحي إله من كراهة الحرب، وبشاعة نتائجها، وما تجره على القائمين بها من ويلات .

كما تعد المواقف التأملية التي كثرة في معلقة زهير صورة الإتجاه العقلي الذي يغلب على صناعة زهير الشعرية .

وقد نرد هذه المواقف التأملية (الحكمية) إلى سببين هما: ما عرف عن زهير وعن ميله الديني للمتحنفين وما يتصل بنزوعه في شك من وثنية الجاهلين، والأمر الثاني هو العصبية التي عاشها زهير، وهي فترة الحروب القبلية، فكانت نزعته التأملية قد ألمت بجوانب الحياة وما يتصل بها من أخلاق وحكم تصلح لأن تكون قانونا من قوانين الحياة:

---

[1] – زهير ، ديوان شعره ،ص107.

سَئِمَتُ تَكَاليفِ الحَياةِ وَمَنْ يَعِشْ    ثَمانينَ حَوْلاًلاَ أَباً لَكَ يَسْأَم
رَأَيْتُ المَنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصَبْ    تُمِتْهُ،وَمَنْ تُخْطِئ يُعَمَّر فَيُهْرَمِ
وَمَنْ لَمْ يُصانِعْ فِي أُمُورٍ كَثيرةٍ    يُضَرَسْ بِأنْيابِ يُوَطَأْ بِمَنْسَمِ
وَمَنْ يَكُنْ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ    عَلى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذَمُ
وَمَنْ يَجْعَلْ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِأَهْلِهِ    يَكُنْ حَمْدُهُ ذمَّأ عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
وَمَنْ لاَيَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاَحِهِ    يُهَدَّمْ وَمَنْ لاَ يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَمَ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبُ عَدُواً صَديقَهُ    وَمنْ لاَ يُكْرِمْ نَفْسَهُ لاَ يُكَرَّمِ[1]

فقد استحال هذا التأمل في الحياة وأحداثها إلى نزعة أخلاقية تكاد تنيز زهير عن غيره ولا نلبث من هذه الأحداث حتى نحسن أن فيها أنفاسا تسري إلينا من ديننا الحنيف،والذي يمجد الفضيلة ومكارم الأخلاق .

---

[1] زهير بن أبي سلمى، ديوان شعره ، ص .ص 110 – 111 .

## 3- التصوير بالحركة :

إن الشاعر الجاهلي كعادته ميال إلى التمثيل بالحركة،فهو مغرم بها غراما،وهذا ما نجده عند زهير ،فالحركة منسجمة مع طبيعته التي صهرتها الحياة الصحراوية،وأيقضت حسها المخاوف، فزهير كان غارقا في المحسوس لا يقوى التلف منه،وهو يعبر عن جملة ذاته والوجود الخارج عن ذاته،والمرتبط بحبه للسلم والسلام والأمن والاستقرار.

فجاءت صوره لها طابع الحركة في بعضها التي تخص التواصل والديمومة، فنلاحظ في قوله :

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمةً     وَتَضر إِذَا أَضَيْتُمُوهَا فَتَضْرَم
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرُّحى بِثِفَالِهَا     وَتَلْقَحْ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتئِمِ

فقد رسم زهير الحرب و كأنها مشهد سنمائي،وخصها بطابع الحركة،فهي حية شاخصة تسعر،وتضطرم كالنار التى لها حركة الألتهاب و التسعر،ثم يذكر أنها تنتج فتتئم،أي لها فاعلية التكاثر،وهي حركة تقوم تقوم بها الحيوانات ، وحتى البشر وقد صرح هو بقوله ( تلقح كشافا ) أي خاصية تنطبق على الحيوانات ، مثل الغنم و الإبل ، فالحرب لا تنقطع ولا تبقى ولا تذر .

ونلاحظ في قوله :

رَأَيْتُ الْمَنَاَيَا خَبْطَ عَشْوَاءَ من تُصِبْ     تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَم [1]

فصور الموت وكأنها ناقة (العشواء) تتحرك وتمشي ، وتضرب علي غير هذا ، وكأن الموت حية شاخصة أمامنا .

---

[1] زهير بن أبي سلمى، ديوان شعره ، ص .ص 107 – 110 .

ونصل غلى تقرير هذه الحقيقة تتكرر الإشارة إليها ، فأبيات هذه المعلقة وبعضها قد شخص بالحركة في التصوير ،فهي عنده تكون بالتطور تارة ، وقد تكون بالتكاثر ،وتعكس هذه الصورة مواقف زهير النبيلة من الحياة

## 4 ـ الإيقاع الموسيقي :

الإطار هو إحدى أهم عناصر التصوير، ويقصد به الصورة في صميمها كالموسيقى[1] فطبيعة الصورة الشعرية هي تلك التجربة الرمزية التي تحتاج إلى وسائل حسية لتجسيدها وتوصيلها، وقد يختار الشاعر لنفسه وسيلة تربط بينه وبين العالم الخارجي ولعلها تكون الموسيقى الشعرية أي الإيقاع الموسيقي في اللغة الشعرية والذي يعد أساسا في كل عمل فني، حيث يبرز الشاعر فيه مقدرته الفنية في عملية الخلق و الإبداع :{إن في جزء كبير من قيمة الشعر الجمالي يعزي إلي صورته الموسيقية ، وبهذا فإن الشاعر يتخذ اللغة الموسيقية وسيلة لتجسيد صورة الشعرية وإظهارها}[2] .

ولعل زهير أحد الشعراء الذين يهتمون بهذا الإيقاع الموسيقي ، فهو يؤثر في شعره قوافل مطلقة ،كما نجده مفتونا بالتكرار الصوتي ، وهو تكرار كان يعقد فيه تعقيدا صوتيا، قصد إليه كل القصد حيث نلاحظ تكرار الكلمات والحروف والحركات ، وبذلك هو المفتاح الرئيسي لأشعاره ، وتعد معلقته نموذجا كاملا لمنهجه الفني حيث بناء صوره ،واختيار لغته ،والإحتفال بموسيقاه، فكان يحرص في

---

1- صلاح عبد الفتاح، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص 76 .

2- عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ،دار غريب ، القاهرة ،ط4 ، ( دت ) ، ص 55 .

الكلمات تكرارا مطلقا استدعته الحاجة إلى ذلك :{ وكان زهير يحرص في تكرار الكلمات على أن يكون تكرار ثنائيا على أن يختلف في أكثر الأحيان بين هذه الكلمات المكررة وبين القافية ، كما كان حريصا على أن تختلف الكلمات المكررة من بيت لأخر}[1]، ومن ذلك التكرار في الكلمات و الملاحظ من خلال معلقته ما يلي :

سَعَى سَاعِيًا غيْظُ بْنُ مُرَّةَ بَعْدَمَا   تَتَرَّلَمَابَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالــدَّمِ

وَقَدْ قُلتُمَا إِنْ نُدرِكَ الْسِلم وَاسِعا   بِمَالٍ وَمَعْرُفٍ مِن الْأَمْرِ نَسْــلَمِ
عَظِيمَيْن فِيْ عُلْيَا مُعِدٍّ هُدَيْـتُمَا   وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ
يُنَجِمُها قَومٌ لِقَوْمٍ غَــــرَامَةً   وَلَمْ يُهَــرِيْقُوا بَيْنَهُم مِنْ مَحْجَمِ
فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَحْلاَفَ عَنِيْ رِسَـالَةً   وَذُبْيَانَ هَل أَقْسَمْتُمْ كُـلَّ مَقْـسَمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْـمَــةً   وَتَضْرَ إِذاَ أَضْرَيْتُمُوْهاَ فَتَضَــرَمِ
فَتَعْرُكُكُم عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالــِهاَ   وتلقحْ كشــافاً ثُمَّ تنتجُ فتتئِم
فتغللْ لكمْ ما لا تغلّ لأهلـــهاَ   قرَّى بالعراق، من قفيزٍ ودرهمِ
جرئٌ متى يظلم يعاقب بظلمه   سريعاً وإلا يبد بالظلم يظلم
رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا   غماراً تفترى بالسلاح وبالدم
تساق إلى قوم لقوم غرامة   صحيحات مال طالعات المخرم
وأعلم ما في اليوم والأمس قبله   ولكنني عن علم ما في غد عمِ

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله   على قومه يستغن وعنه ويذمم[2]

---

[1] - عبد الرحمان إبراهيم ،قضايا الشعر في النقد العربي ، دار العودة ، بيروت ، ط2 ، 1982 ،ص 49 .

[2] - مقتطفات من معلقة زهير بن أبي سلمى .

وتكاد تكون هذه المعلقة لا تخلو في أي بيت من تكرار الكلمات ، كما أن زهير كان يشغف في تكرار الحروف : {وتكرار الحروف في شعر زهير أكثر تعقيدا من تكرار الكلمات، فقد كان حريصا فيما يكرره من الحروف على أن تكون من نوعين : الأول حروف من جنس الروي ، وهي تتكرر في كل بيت على حدى ولكنها تختلف من بيت لأخر، ومعنى ذلك أن القاعدة الصوتية العامة التي تحكم اختيار زهير للحروف التي يكررها }[1] .

وعليه زهير كان يهتم بتكرار الحروف وخصوصا تلك التي تكون من نفس حرف الروي. ومن خلال المعلقة نجد ما هو أكثر وضوحا وتجليا حرف الميم إذ هو مفتاح معلقته ، يطرد ذكره في أبيات المعلقة ليوائم رويها ، يقول :

لَدَى أَسدٍ شَاكيَ السِلاَحِ مُقْذِفٍ    لَهُ لبَدُ أَظفارهُ لمْ تُقَلَّمِ
وَلَا شَارَكُوُا فِيِ القَوْمِ فِيِ دمِ نوفلِ    وَلَا وَهَبَ مِنْهُمْ وَلاَ ابِنْ المخزَّمِ
فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا    إلى كلأٍ مستو بل مُتَوَخَمِ
لَعَمْرُكَ ماجرّتْ عَلَيْهِمَ رِمَاحُهُمْ    دَمَ ابْنَ نَهِيكِ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلمِ
كِرَام فَلَا ذُوُ الضَغْنِ يُدْرَكْ قَبْلَهُ    لَدَيْهِمْ وَ لآ الجاني عليهم بمسلمِ
وَأعْلَمِ مَا فِيِ الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ    وَلِكنَنِي عَنِ عِلْمِ مَافِي غَدِ عَمَ
وَمَنْ لاَ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ    يَهْدِمْ وَمَنْ يَظْلِمِ النَاسَ يُظْلَمِ
لِسَانُ الفَتىَ نِصْفُ وَنِصْفٌ فُؤَادَهُ    فَلَمْ يَبْقَ إِلاَ صُورَةَ اللَحْمِ وَالدَ مِ
سَألنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُمْ    وَمَنْ أَكْثَرَ التِسْآ لَ يَوْما سَيُحْرَمِ[2]

---

[1] عبد الرحمان إبراهيم ،قضايا الشعر في النقد العربي ، ،ص 51 .

[2] مقتطفات من معلقة زهير بن أبي سلمى .

ويتضح من خلال ذلك أن زهير قد حقق في شعره بدرجة عالية من التعقيد والتنوع ، فكان يستغل الظرف لتوفير وسائل لغوية عديدة يصعب على القارئ تحديد طبيعتها تحديدا دقيقا ، مثل الإيقاعات الموسيقية ، حيث يعتمد الشاعر على اختيار الحروف والكلمات والصور اعتماد واسعا في تشكيل البناء الموسيقي لمعلقته الذي يساعده بدوره على البناء الشعري .

# الخاتمة

## خاتمة :

بعد هذه الجولة في تلك الإثارة الخالدة في تاريخ الأدب للأمة العربية ، أرجو أن أكون قد وفقت إلى تحقيق ما صبوت إليه من الدراسة الموضوعية للقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي ، ودراسة جمالياتها من خلال النصوص الشعرية بالإضافة إلى دراستنا التي اهتمت بجماليات النص الأخلاقي في معلقة زهير ، ولست أزعم أتيت بكل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع ، لكن يمكن أن نستخلص من ذلك ما يلي :

تفنيد آراء بعض الأدباء العرب المستشرقين الرامية إلى سيطرة الروح المادية على الشعر العربي ،وقد أتينا بنماذج لنصوص شعرية تدل على تمسك العرب بالقيم الأخلاقية مت صدق وعفة وكرم وشجاعة وحفاظا على العرض

منبع الأخلاق مرده إلى البيئة التي فرضت وجودها وسيطرت على الإنسان

وجعلته دائما شجاعا كريما ، كما كان للقبيلة أثر كبير في إنماء تلك الخصال والفضائل مع من عرف على العربي بشخصيته الوقورة أبت إلى أن يكون وجودها مقرون مع الأخر ، فرفعت شعار الأخلاق والفضائل .

النزعة الأخلاقية هي صدق التعبير عن الإنسان في كل حالاته النفسية ، وبذلك الأخلاق هي الحس الإنساني العميق ، فمهمة الشاعر هي رسالة سامية في تكوين المجتمعات .

ظهور القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي ينبئ عن سيادة النظام الإنساني الذي آلف بين الفقر والغنى والضعف والبطولة والسيادة ، وحتى التعاطف مع الحيوان

ظهور النزعة الأخلاقية في معلقة زهير حيث نشر الفضيلة التي بثها في شعره بين الناس وجداراته بالإحتذاء من حيث العفة والنزاهة وحب الخير للإنسانية ، وذلك من خلال موقفه من العداوة والحرب وحبه السلم ، ومن تلك المواعظ والحكم الطافحة على معلقته نستطيع في غير إسراف أو مبالغة أن نرد هذه النزعة الأخلاقية التي تتجلى على وجه الخصوص في وصف الحرب والحكمة عند زهير، إلى حاجة هذه البيئة إلى الأمن والإستقرار والعدالة .

ويمكن أن نلخص مميزات شعر زهير في كونه أدب اللهجة وروح الوقار ، ورزانة الحكماء، وبراعة التصوير وسهولة التعبير والإبداع، لاختياره أدوات الصورة وانتقاء الإيقاعات الموسيقية المؤثرة . فكان زهير واقعيا في موضوعاته، واقعيا في صدق نقله عن واستكمال الصورة الكاملة لجميع عناصره في شعره، وفي حرصه على التفاصيل والجزيئات، وفي صراحة التصوير ودقة التعبير، وتنقيحه وترصيعه.

وبهذا لا يخلو البحث من تعطش إلى امتداد البصر إلى جوانب أخرى وما أكثرها في الشعر الجاهلي، وإعطائها حقها في التمحيص والدراسة .

والحمد لله عل ما هدانا إليه وأعاننا عليه له الحمد في الأولى والآخرة ،فنعم المولى ونعم النصير،

**{ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون }.**

# البيبلوغرافيا

## قائمة المصادر و المراجع :

### أ- المصادر :

1- الأعشى ميمون ، ديوان شعره ، دار بيروت ، للطباعة والنشر و التوزيع ، 1986 .

2- أبو تمام ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق : محمد حسن نقش ، دار الغرب الإسلامي ، 1991 .

3- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى بابلي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1982.

4- حاتم الطائي ، ديوان شعره ، دار صادر ، بيروت ، (د ت) .

5- الحطئية ، ديوانه شعره ، تحقيق: يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992 .

6- الخنساء ، ديوانها الشعري ، تحقيق : عبد السلام الخوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (دت).

7- زهير ، ديوان شعره ، دار الكتاب المصرية ، ط1 ، 1982 .

8- زهير بن أبي سلمى ، ديوان شعره ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط3 ، 2003 .

9- الزوني ، شرح المعلقات السبع ، دار الأفاق الأبيار ، الجزائر ، (د ت) .

10- أبو زيد القرشي ، جمهرة أشعار العرب ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1984 .

11- الشنفرى ، لامية العرب ، تحقيق : محمد بديع شريف ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1968 .

12- طرفه بن العبد ، ديوان شعره ، دار صادر ، بيروت ، ( د ت ) .

13- عروة بن الورد ، ديوان عروة و السموآل ، دار صادر، بيروت ، 1964.

14- عنترة ، ديوان شعره ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط3 ، 2002 .

15- لبيد بن ربيعة ، ديوان شعره ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ( د ت ) .

16- المفضل الضبي ، المفضليات ، تحقيق قسي حسين ، مكتبة الهلال بيروت ، ط1 ، 1998 .

17- أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، تحقيق : علي البجاوي دار الشروق القاهرة ، 1971.

## ب- المراجع :

18- ابراهيم ، عبد الرحمن،قضيا الشعر في النقد العربي،دار العودة،بيروت،ط:02،1998.

19-أحمد أمين،فجر الإسلام،مطبعة الإعتماد،مصر،دط،1968.

20-أحمد فتوح، شعر المتنبي،قراءة أخرى،دار المعارف بمصر،ط:02،1988.

21-أحمد محمد الخليل ، في النقد الجمالي ، رؤية في الشعر الجاهلي ،دار الفكر، دمشق ، سوريا ،ط1، 1996 .

22- أحمد وهب ،شعرنا القديم والنقد الجديد ، عالم المعرفة ،الكويت ،ط1 ، 1996 .

23- بدوي طبانة ،معلقات العرب ، دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر العربي ،ط3،بشر محمد

24- الخطيب ،الرثاء في العصر الجاهلي ، مديرية المطبعة المحلية ، بغداد ، 1977 .

25- بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية والاسلام ، دار الثقافة ، بيروت ، ط10، 1974

26- ثريا عبد الفتاح ملحس ، القيم الروحية في الشعر العربي ، دار الكتاب ، بيروت ،(د ت) .

27- حنا الفاخوري ، تاريخ الادب العربي ، مطبعة البوليسية ، بيروت ، ط2 ،( دت ) .

28- خالد زواوي ، تطور الصورة في الشعر الجاهلي ، مؤسسة جورس الدولية ، الاسكندرية، ط1 ، ( د ت ) .

29- زكريا صيام ، دراسة في الشعهر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1993 .

30- الشرقاوي ، دروس ونصوص في قضايا الشعر الجاهلي ، دار التهضة العربية ، مصر،ط1 ،(دت) .

31- شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، بمصر ، ط5 ، (د ت) .

32- شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، مكتبة النهضة العربية ، مصر ، ط1 ، (د ت) .

33- صلاح عبد الصبور ، قراءة جديدة لشعرنا القديم ، منشورات اقرا ، بيروت ،ط3،(د ت) .

34- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير عند السيد قطب ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1982 .

35- طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1973 ، ج1 .

36- عبد الحميد سيد الجندي ، زهير بن أبي سلمى ، شاعر السلم في الجاهلية ، مطبعة ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، مصر ، (د ت) .

37- عبد الحي دياب ، النزعة الانسانية في الشعر العقاد ، دار النهضة العربية ، مصر ،1969 .

38- العربي حسين درويش ، النقد الحديث ومقاييسه واتجاهاته ، مكتبة النهضة العربية ، مصر ،( د ت) ،

39- عز الدين اسماعيل ، التفسير النفسي للادب ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، ( د ت)

40- زوبير دراقي ، المفيد الغالي في الادب الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، (د ت) .

41- محمد زغلول سلام ، مدخل الى الشعر الجاهلي – دراسة في البيئة والشعر .مطبعة الانتصار ، (د ت) .

# الفهرس

**مقدمة :**

**مدخل :**.................................................................2

**الفصل الأول : الشعر الجاهلي ومصادر الأخلاق فيه.**

مصادر الشعر الجاهلي...................................................6

مصادر الأخلاق في الشعر الجاهلي..................................... 8

أراء النقاد في أخلاقيات الشعر الجاهلي.................................13

**الفصل الثاني : النزعة الأخلاقية وتجلياتها في الشعر الجاهلي .**

النزعة الأخلاقية في الشعر الجاهلي .......................................14

إباء الضيم................................................................20

الحلم .....................................................................22

الجود......................................................................24

الشجاعة...................................................................27

الصبر......................................................................31

الحزم......................................................................33

**الفصل الثالث : النزعة الأخلاقية في معلقة زهير .**

تعريف زهير بن أبي سلمى................................................37

النزعة الأخلاقية...........................................................38

أثرها في بناء الصورة.......................................................45

**خاتمة** ....................................................................40

**البيبليوغرافيا** ............................................................44